الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية للطوارق في الصحراء المغاربية خلال القرنيين 18م(13/12هـ) و 19 م(13هـ/14هـ)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر **تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث**

إعداد الطالبة: **تحت إشراف الأستاذ الدكتور:**

- فتيحة حشاني أحمد جعفري

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
محمد السعيد بوبكر	أستاذمحاضر –أ–	رئيسا	غرداية
احمد جعفري	أستاذ تعليم عال	مشرفا	غرداية
ربيعة قريزة	أستاذة محاضرة–أ–	مناقشا	غرداية

السنة الجامعية: 2024-2025م/1445-1446هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

أتوجّه بخالص الحمد والشكر إلى **الله عز وجل** ، الذي منحني القوة ، والعزيمة ، والصحة لإتمام هذا العمل الأكاديمي ، وكان لي العون والسند في كل مراحل هذا المشوار .

ثم أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والعرفان والتقدير إلى **الأستاذ الدكتور "جعفري أحمد "** ، الذي كان له الشرف العظيم بأن يتولى الإشراف على هذا البحث ، فكان خير موجّه وخير داعم. لم يبخل عليّ يومًا بنصائحه القيّمة ، ولا بتوجيهاته المنهجية والعلمية الدقيقة ، حيث واكب هذا البحث منذ أن كان فكرة أولى بسيطة ، حتى غدا مشروعًا متكاملًا نعتز به. فله مني كل التقدير والامتنان على ما قدّمه من جهد ودعم.

كما أتقدّم بالشكر والامتنان لكل من وقف إلى جانبي خلال هذا المشوار ، من أصدقاء وأهل وزملاء ، ولكل من قدّم لي الدعم النفسي والمعنوي ، أو حتى بدعوة صادقة في ظهر الغيب ، فجزاهم الله عني كل خير ، ونسأل الله لهم التوفيق والنجاح في حياتهم العلمية والعملية.

ولا يفوتني أن أوجّه شكري وتقديري إلى **أساتذتي الكرام بقسم التاريخ –جامعة غرداية–** ، الذين كان لهم دور كبير في تكويننا العلمي والمعرفي ، وزرعوا فينا حب البحث والاجتهاد ، فكل الشكر والتقدير لهم على مجهوداتهم المبذولة.

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، وعلى آله ومن وفّى ، أما بعد :

إلى من رحلت عن الدنيا، لكنها ما غادرت قلبي أبدًا

إلى من كانت النور و الدعاء ، السند والحنان

أُهدي هذا الجهد إلى روحك الطاهرة ،رحمكِ الله وغفر لكِ ، وجعل مثواكِ الجنة، وجعل هذا العمل صدقة جارية عنكِ ،تصل إليكِ نورًا ورحمة في قبرك إلى **روح أمـــي الغالية**.

إلى **والـدي**، أطال الله في عمره وبارك له في صحته.

إلى **إخوتي الأحبة ، حرمة ، وعبد الله ، وأسامة ،**

أنتم ظهري الحقيقي ورفقة العمر وسندي ، فلكم مكانة لا توصف في قلبي .

إلى**جدي إبراهيم**، أطال الله في عمرك، وزادك صحة وعافية فأنت البركة والنور في حياتنا.

إلى **جدتي الحنونة**، التي كانت لي أمًّا ثانية، بحنانها واهتمامها ودعائها الدائم اطال الله عمرها.

إلى خالتي فاطمة بولعراوي حفظها الله.

إلى أخوالي"سماحي،محمد،مسعود،جمال، عبد القادر" وزوجاتهم وخالاتي وأزواجهن.

لكم جميعًا بكل أسمائكم، شكري وامتناني، على كل ما قدمتموه لي من حب ودعم.

إلى بنات خالتي الغاليات ، أخواتي التي لم تلدهن أمي، عايدة ،ام الخير، فاطنة ، وفاطمة الزهراء .

إلى براعم عائلتنا الجميلة: فاطمة، وصال، إبراهيم، أحمد، أسماء، فرح، وخيرة،

إلى **صديقاتي الغاليات،محجوبة و أسماء،**

إلى **زميلاتي وزملائي في الدراسة ،**

وبالأخص :**خديجة و زاهية ،ياسمين.**

وأخيرًا **إلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي**، أنتم جزء من هذا الإنجاز.

فـــتيحة حشـــانـــي

قائمة مختصرات

الكلمة	المختصر
تحقيق	تح
ترجمة	تر
جزء	ج
صفحة	ص
دون تاريخ نشر	د.ت
مجلد	مج
طبعة	ط
عدد	ع
ميلادى	م
هجري	هـ
قرن	ق
Au même endroit	Ibid
Ouvrage précédemment citée	Opt.Ci
Page	P
Numéro	N
Revue Africaine	RA

المـــــــــــقدمة

تُعدّ الصحراء المغاربية واحدة من أغنى المناطق من حيث التنوع الثقافي و التاريخي رغم ما تتّسم به من طبيعة جغرافية قاسية ومناخ جافّ متطرف هذه المنطقة ، التي تبدو في ظاهرها موحشة وخالية من مقومات الحياة ، كانت ولا تزال حاضنة لحضارات وشعوب استطاعت أن تتأقلم مع بيئتها وتخلق نمط حياة متكامل ، يمزج بين الاستمرارية الثقافية والقدرة على الصمود.

ومن بين أبرز الشعوب التي سكنت هذه الرقعة الصحراوية واتخذتها موطنًا لها على مدى قرون، يبرز الطوارق، يتميزون بخصوصية ثقافية ولغوية واجتماعية لافتة. عرف الطوارق بأنهم شعب بدوي رحّل، ظلّ يتنقل في قلب الصحراء الكبرى، معتمدًا على الرعي، وتجارة القوافل، والعلاقات القبلية، ما سمح لهم ببناء نظام اجتماعي متماسك ودقيق يقوم على الانتماء القبلي والتقسيمات الاجتماعية الواضحة بين فئات المجتمع، وتقاليد راسخة تحكم مختلف جوانب الحياة.

ما يميز الطوارق ليس فقط قدرتهم على التكيّف مع الظروف البيئية الصعبة، بل أيضًا نجاحهم في الحفاظ على هويتهم الثقافية الفريدة من خلال لغتهم " تماشق "، وكتابتها " تيفيناغ "، وتقاليدهم الاجتماعية الخاصة التي يظهر فيها دور المرأة واللباس والعلاقات القبلية المنظمة. وقد مثّلت الحياة الاجتماعية للطوارق أحد أهم أوجه تميزهم ، حيث تُظهر دراسة ممارساتهم الاجتماعية ، وتنظيمهم الطبقي ، وعلاقاتهم داخل القبيلة ، قدرة هذا المجتمع على الاستمرارية والحفاظ على توازنه الداخلي ، رغم ما مرّ به من تحولات سياسية ومؤثرات خارجية ، خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ،حيث حظيت مجتمعات الطوارق بدراسات عديدة سواء من قبل الرحالة والمغامرين المستكشفين لإفريقيا

،هذه الرحلات التي كان من روادها في الاول الانجليز ثم الالمان ثم لحق بهم الفرنسيين أمثال هنري بيسال H Bissuel سنة 1888 ، هنري دوفيرييه Henri Duveyrier سنة 1859.

وفي هذا الصدد جاءت مذكرة موسومة بالحياة **الاجتماعية للطوارق في الصحراء المغاربية خلال القرنيين 18 و19**.

حيث يشمل **الإطار المكاني** لهذه الدراسة الصحراء المغاربية الكبرى، الذي يضم المناطق الجنوبية من الجزائر وليبيا يتمركز الطوارق في مناطق مثل منطقة الهقار وتمنراست، وإقليم فزان خاصة منطقة غدامس، غات.

أما بالنسبة **للإطار الزماني** فيتحدد خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، وهي فترة حاسمة في تاريخ الصحراء المغاربية والطوارق على وجه الخصوص، حيث يمثل آخر مراحل الاستقلال الذاتي للطوارق قبل الخضوع المباشر للاستعمار.

ومن **أهداف هذا الموضوع** هو دراسة الحياة الاجتماعية للطوارق في الصحراء المغاربية خلال القرنين 18 و19 ذات أهمية كبيرة من خلال:

- دراسة البنية الاجتماعية والطبقية لمجتمع الطوارق.
- إبراز دور المرأة في الحياة الاجتماعية.
- تصحيح الصورة النمطية السائدة عن الطوارق في الأدبيات التاريخية.

يرجع سبب اختياري لهذه الدراسة إلى جملة من **الدوافع** منها:

- **الذاتية:**

- الرغبة الشخصية لدراسة تاريخ المجتمعات الصحراوية، وخاصةالطوارق.
- الاهتمام بالمواضيع التي تسلط الضوء على الحياة الاجتماعية.
- حب الاطلاع على عادات وتقاليد المجتمع الطارقي في الصحراء المغاربية.

- **الموضوعية:**

- الفضول العلمي بالبحث في صفحات تاريخ التوارق.
- الرغبة في إزالة الغموض والغبار المتراكم عن تاريخ الطوارق ومعرفة مدى صحة الأفكار الشائعة عن أصولهم وتاريخهم.
- المساهمة في إثراء حقل البحث العلمي والمكتبة الجامعية من خلال تسليط الضوء على الطوارق كفاعل اجتماعي وتاريخي مؤثر في الصحراء المغاربية .
- قلة الدراسات الاجتماعية حول الطوارق هذا ما شجعني لدراسة هذا الموضوع.

شهد مجتمع الطوارق في الصحراء المغاربية خلال القرنيين 18و19 نمطا اجتماعيا قائما على أعراف وتقاليد، ورغم التحديات البيئية والسياسية التي واجهته في الوقت ذاته بدا اهتمام الغرب يتزايد بهذا المجتمع الصحراوي خاصة من الرحالة والمستكشفين الفرنسيين، الذين سعوا إلى فهمه وتوظيفه في خدمة المشاريع الاستعمارية. ومن هنا نطرح **الاشكالية الرئيسية** التالية:

كيف تشكلت ملامح الحياة الاجتماعية للطوارق في الصحراء المغاربية خلال القرنيين 18و19، وإلى أي مدى حافظ الطوارق على تماسكهم الاجتماعي في ظل اهتمام الرحالة والمستكشفون الأوربيون؟

ومن هذه الاشكالية تفرعت مجموعة من **التساؤلات الفرعية**:

- من هم الطوارق عرقيا وتاريخيا؟ اصولهم وتفرعاتهم؟
- كيف يتشكل النظام الاجتماعي عند الطوارق؟
- ما هي الفئات أو الطبقات الاجتماعية التي تكون المجتمع الطارقي وخصائص كل فئة؟
- ما هي أبرز العادات والتقاليد التي ميزت الحياة الاجتماعية للطوارق؟
- ما الدور الذي لعبته المرأة الطارقية في ظل التحديات التي عرفتها المنطقة؟

أما بالنسبة **للمنهج المعتمد**كون طبيعة الموضوع الذي تناولته يتحدث عن الحياة الاجتماعية لمجتمع الطوارق هو منهج التاريخي الوصفي من خلال تتبع الطوارق عبر المراحل التاريخية، وسرد بعض الوقائع والأحداث ووصفها.

للإجابة عن الاشكالية المطروحة قسمتُ الموضوع إلى **الخطة** التالية:مقدمة، تليها ثلاثة فصول رئيسية، ثم خاتمة، وأخيرًا ملاحق وقائمة للمصادر والمراجع.

الفصل الأول: تناولت فيه لمحة تاريخية عن الطوارق، شملت التوزيع الجغرافي لهم، وأصل تسميتهم، بالإضافة إلى التفرعات القبلية المختلفة التي ينتمون إليها.

الفصل الثاني: ركّزت فيه على البنية الاجتماعية للطوارق، وتطرقت إلى الطبقات الاجتماعية السائدة، والنظام الاجتماعي المعتمد، بالإضافة إلى تأثير العوامل الثقافية والاقتصادية على هذه البنية.

الفصل الثالث: خصصته للحديث عن العادات والتقاليد الطارقية، حيث تناولت اللباس التقليدي لكل من الرجل والمرأة، والمناسبات الاجتماعية والعادات المرتبطة بها، إلى جانب الدور البارز الذي تلعبه المرأة الطارقية في الحفاظ على هذه العادات والتقاليد.

وفي الختام، أدرجت **خاتمة** تلخص أهم النتائج التي استخلصتها من خلال دراسة الموضوع، تلتها قائمة للملاحق داعمة، وقائمة شاملة بالمصادر والمراجع المعتمدة.

واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع والرسائل الجامعية والمقالات

ومن أهم المصادر نذكر عبد الرحمن ابن خلدون:" كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر " استفدت منه في تحديد اصل الطوارق ، وكتاب الرحالة والمستكشف الفرنسي هنري دوفرييه HENRI DUVEYRIER المعنون بـ " استكشافات الصحراء طوارق الشمال "، EXPLORATION DU SAHARA LES TOUAREGS DU NORD استفدت منه في إبراز ملامح الحياة المعيشية للطوارق ، والتعرّف على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، إلى جانب تسليط الضوء على الدور البارز الذي كانت تلعبه المرأة في مجتمعهم ، سواء على المستوى الأسري أو الثقافي.

ومن أهم المراجع:

محمد السعيد القشاط: كتاب الطوارق عرب الصحراء الكبرى أفادني في التعرّف على نسب الطوارق وموطنهم الأصلي، مع توضيح أصولهم التاريخية، والوقوف على أبرز تقاليدهم الثقافية والاجتماعية التي تميزهم عن غيرهم من شعوب الصحراء.

اكناته ولد النقرة: كتاب الطوارق من الهوية إلى القضية استفدت منه في أصل التسمية.

اسماعيل العربي: كتاب الصحراء الكبرى وشواطئها.

امال الهاشمي: كتاب الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية استفدت منه في فهم الجوانب الاجتماعية لمجتمع الطوارق، خصوصًا ما يتعلق بالتركيب الطبقي والنظام الاجتماعي الذي يحكم علاقاتهم الداخلية، إضافةً إلى استكشاف أصول عاداتهم وتقاليدهم الراسخة في البيئة الصحراوية.

الرسائل الجامعية:

مذكرة ماستر تكرا حنان وحمو على مباركة بعنوان قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفيري وشارل دوفوكو.

مذكرة ماجستير احمد دواس بعنوان صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية.

المقالات:

بتقة ابراهيم: لمحات من تاريخ قبائل الطوارق.

عريبي إياد يونس وعفراء عطا عبد الكريم: العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى.

ومن **الصعوبات** التي واجهتني نجد:

- تطلّب هذا البحث جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلًا في جمع المصادر والمراجع المناسبة، نظرًا لندرة الدراسات المتخصصة وصعوبة الوصول إلى المعلومات الدقيقة حول موضوع الطوارق.
- واجهت الدراسة صعوبة في الحصول على بعض المصادر والمراجع التي كان من شأنها سد بعض الثغرات البحثية، خاصةً فيما يتعلق بالمعلومات الدقيقة حول الحياة الاجتماعية للطوارق.
- صعوبة التعامل مع المصادر باللغة الفرنسية لذلك استعنت بشخص لمساعدتي لترجمة نصوص.
- التضارب في الآراء حول أصول الطوارق يعكس تنوّع الروايات وتعدّد التفسيرات بجذور هذا الشعب العريق.

وفي **الختام** آمل أن أكون، من خلال هذا البحث، قد أسهمت ولو بجزء بسيط في إثراء مكتبة الجامعة. كماأتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي المشرف، الدكتور **أحمد جعفري**، على ما قدّمه لي من دعم وتوجيهات قيّمة ساعدتني في إنجاز هذا العمل. وأسأل الله تعالى أن يكون هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم، ومثمرًا في ميزان العلم والمعرفة.

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن الطوارق

يعد الطوارق من الشعوب الاصيلة التي حافظت على هويتها وثقافتها عبر العصور، رغم التحديات الجغرافية والسياسية التي واجهتها. يمتد وجودهم في قلب الصحراء الكبرى، حيث شكلوا نموذجا فريدا مع التكيف مع البيئة الصحراوية القاسية. يتناول هذا الفصل الطوارق وتاريخهم موضحا الانتشار الجغرافي للطوارق وأصولهم وتفرعاتهم.

أولا: التواجد الجغرافي للطوارق

ينتشر الطوارق في وسط صحراء قارة أفريقيا أو ما يعرف بالصحراء الكبرى منذ القدم ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب شرقي الجزائر.[1]

كما تنتشر مجموعات منهم ببوركينافاسو ونيجيريا ونستطيع أن نحدد امتدادهم من وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري[2] وغات إلى تامنغست بالجزائر وجانت وتمياوين وبرج باجي مختار على الحدود مع مالي إلى تنبكت بمالي وإلى طاوا بالنيجر، وعلى بحيرة تشاد وابشه في شرق تشاد وتنتشر قبائل الطوارق في الصحراء بين الكثرة والقلة. [3]

[1] ينظر الملحق رقم 1.

[2] واحة كبيرة تقع جنوبي ليبيا، مدينة في وادي ازدهرت أخيرا بالزراعة وأصبحت المزارع على طول الوادي ثلاث مئة كيلومتر متشابكة وغير منقطعة **ينظر القشاط محمد سعيد، الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، ط 2 مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ص 29.

[3] قشاط محمد السعيد :نفسه،ص 17.

تنقسم إلى ثلاثة فروع أساسية، تاسيلي ناجر[1] وأهقار وأدرار إيفوغاس وهي موزعة على الترتيب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ومع ذلك لا يقتصر تواجد الطوارق على هذه المناطق فقط فبعضهم يعيش في أماكن أخرى مثل منطقة ايير وشمال السودان وشرقيه، على أن أهقار وهي المعقل الأهم. [2]

ويقول الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف: ويتكون موطن الطوارق من الواحات والوديان التي تشق جبال تاسيلي (غات–جانت) و الهقار (تامنغست) وآيير (أقدز وأضغاغ، كيدال) إلا أن الجزء الأكبر من الطوارق يعيش في منطقة السهول والمراعي الفسيحة التي تسمى باسم (أزواغ) الممتدة من أعالي نهر السنغال غربا إلى بحيرة تشاد شرقا من أطراف المناطق الرملية إلى غابات السافانا جنوبا [3].

ولم يكن هذا موطن الطوارق الاصلي فلقد تزحزح الطوارق من الشمال الى جنوب موغلين في الصحراء أما هربا من الجيوش التي كانت تهاجم من الشمال (الرومان –الوندال – البرتغال–الاسبان – الفرنسيون) .هكذا ترك الطوارق موطنهم في الشمال موغلين في الجنوب تاركين اثارهم وأسمائهم.[4]

[1] كانت المنطقة الشرقية من مرتفعات التاسيلي ولا زالت تمثل أغنى منطقة في الرسوم الصخرية سواء من حيث الرسوم وكذا المحتوى الفني وعلى هذا الأساس يبدو انه قد توالى على منطقة التاسيلي كل من جماعات الصيادين، البقارة والأكيديين: هؤلاء الذين استعملت في عهدهم العربات ثم الجمالة فيما بعد، هذا ويعود زمن الرسوم المخصصة للعربات الصحراوية إلى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد: **ينظر غانم الصغير محمد، المحتوى التاريخي لرسوم الصخرية المعطيات الجغرافية والمناخية**، مجلة الأصالة، ع 72، أوت 1979، ص 69-82.

[2] اسماعيل العربي :كتاب الصحراء الكبرى وشواطئها الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 1983،ص 175 .

[3] محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ص 17.

[4] محمد سعيدالقشاط: نفسه، ص 18 .

ويقول فيج: ويمتد توزيعهم الجغرافي من منطقة توات وتنبكت ومن فزان الى زندر الواقعة غربي بحيرة تشاد، ويتسمون بالشجاعة واهم اعمالهم نقل وحراسة قوافل التجارة الى السودان الغربي والأوسط. ويعمل بعضهم بزراعة القمح والشعير والذرة والتمور. ولهم قدرة فائقة على تحمل الجوع والعطش.[1]

ثانيا: أصل التسمية

تختلف الروايات وتتضارب آراء المؤرخين حول أصل تسمية الطوارق هذه التسمية التي أطلقت على القبائل الأمازيغية الصحراوية وقد نُسبت لها عدة دلالات. نجد في مقدمتها تلك التي تقول بأنهم سموا بهذا الاسم لأنهم طرقوا الصحراء ومرتادها، وطوارق جمع طارق وهو الآتي ليلا على اعتبار أن الصحراء كالليل وأن السالك لشعابها كالسائر في الليل كما أن العابرين للصحراء كثيرا ما يضطرون لقطعها ليلا والإقامة نهارا لشدة الحر. [2]

اسم الطوارق الذي عرفوا به فقد جاء مع الفتح العربي الاسلامي لمنطقة المغرب وشمال أفريقيا، وقيل بأن الاسم جاء لكونهم تركوا الاسلام في البداية، فسموا (التوارك)، وقيل بأن كلمة (طوارق) تنقسم إلى قسمين(طوا) وتعني شعب ، و(رق) وتعني اسم مكان.[3] بينما يذهب رأي اخر إلى أن الطوارق

[1] محمد الشيخ الانصاري: الطوارق الاصل والموطن ص 66.

[2] محمد أشحلي: **الطوارق أمازيغ الصحراء الكبرى ،القومية المسألة القومية** ،حقوق الأقليات لحق تقرير ع 1791 ، 2007 ص1.

[3] أحمدعبد الدايم محمد حسين :**تاريخ القضية الازوادية وتطورها** ع 16 ، افريل 2013 ص 19.

نسبة إلى طارق بن زياد ونسبة الى الطرق التي يتخذها هؤلاء الطوارق في اسفارهم. كما بحث عن معنى تارك في اللهجة البربرية فوجد انه يعني الوادي أو مجرى الوادي[1].

إلا أن الفرنسيون غالبا ما يطلق عليهم اسم الرجل الأزرق كناية عن غلبة اللون الأزرق على ما يلبسه الطوارق[2].حيث قال هنري بيسال:"**إن الطوارق ليس هو اسمهم الأصلي، بل هو لقب أطلقه عليهم العرب.أصل الكلمة من العربية "طارق"، وجمعها "طوارق"، وتعني: المهجور من الله.**"

أُطلق عليهم هذا الاسم لأنهم، بعد أن رفضوا الإسلام لفترة طويلة، ثم اعتنقوه، عادوا لاحقًا ليرتدوا عنه عدة مرات.[3]

ويرى آخرون أن تسمية التوارق اشتقت من تارقا، وهي التسمية الثانية لمنطقة فزان بليبيا وهي احدى معاقل الطوارق بليبيا. والباحث عبد القادر حاجي يرى أن العرب اطلقوا عليهم اسم "التوارق" نسبة لقبيلة (تارغا) احدى قبائل البربر القاطنة في الصحراء الممتدة من المحيط الاطلسي إلى اغدامس في القرن السابع الهجري.[4] وقد شاع هذا المصطلح بين مؤرخي القرن التاسع عشر العرب، ثم عُدّل إلى "طوارق" خلال فترة الاستعمار الفرنسي[5].

---

[1] أمال الهاشمي: الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية ،ابن النديم للنشر و التوزيع وهران ،دار الروافد الثقافية بيروت لبنان ، ط1،2024 ،ص 28 .

[2] محمد أشحلي: المرجع السابق، ص 3.

[3] H- Bissuel: Le Sahara Français, Adolphe Jouadan ,Libraire –éditeur ,Imprimeur de l'Académie 1891, p 145.

[4] أكناته ولد النقره : الطوارق من الهوية الى القضية ، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2014 ص 34.

[5]Stephanie E : Santos, "The Tuareg: Place and People in Self Determination", Workshop in Political Theory and Policy Analysis, Bloomington: Indiana University 2013, p5-10.

ويرى السفير والباحث همام هاشم الألوسي مدعما برأي المؤرخين الطارقيين: موسى بن شداد وعتيق ابن انجانبان أن تلك التسمية(الطوارق) قد أطلقت حديثا نسبيا على الملثمين من أبناء القبائل التي كانت تحكم القوافل من الصحراء خلال العصور الوسطى عندما نشطت التجارة بين شمال افريقيا وجنوب الصحراء، بالأخص في مناطق تينبكتو وغاو وجني وولاته وقد غلبت هذه التسمية على غيرها من المسميات والألقاب الاخرى التي حملها ابناء هذه المجموعة خلال حقب تاريخية مختلفة.[1]

هذه باختصار بعض التسميات التي تطلق عليهم من طرف غيرهم إلا أن الطوارق لا يعرفون هذه الأسماء ولا يطلقونها على أنفسهم بقد رما يعرفون أنفسهم بكل تماجق أو اماجغن في النيجر وبتغير طفيف في مالي حيث يقولون كل تماشق أو اماشغن وكذلك في الهقار حيث يقولون كل تماهق وهي كلها كلمات مشتقة من تموجغا أي الشرف وكما نلاحظ أن كل تماشق تتكون من جزأين "كل" التي تعني أهل أو أصحاب و"تماشق" وهي الامازيغية.[2]

على الرغم من أن أصل الكلمة غير مؤكد، إلا أن هناك أمرًا واحدًا واضحًا: ينتمي الطوارق إلى الثقافة الأمازيغية، أي البربر، وليسوا عربًا ،على عكس ما قد يعتقده البعض ويتجلى ذلك في سمتين مميزتين:

- لغتهم وهي لهجة أمازيغية قديمة؛ بالإضافة إلى أبجديتهم، "تيفيناغ"، من أصل أمازيغي.
- لهجتهم ،المعروفة باسم "تماشاق"، تشترك في جذر مشترك مع لغات أمازيغية أخرى.

[1] أكناته ولد النقرة: المرجع السابق، ص 35 .

[2] محمد أشلحي:المرجع السابق، ص2 .

يمتد تاريخ شعب الطوارق إلى آلاف السنين في قلب الصحراء الكبرى ،مشكلاً ثقافة غنية وعميقة وهوية فريدة يعود وجودهم في الصحراء الكبرى إلى حوالي 7000 قبل الميلاد ،بجذور عميقة في حضارات ما قبل البربر. منذ العصور الوسطى فصاعداً ،اعتمد الطوارق أسلوب حياة بدوي،متكيفاً مع ظروف الصحراء القاسية.جعلتهم معرفتهم الدقيقة ببيئتهم والنجوم مرشدين لا يُقدر بثمن للقوافل عبر الصحراء. هيمنوا على التجارة بين مناطق البحر الأبيض المتوسط وجنوب الصحراء الكبرى، حيث تبادلوا الملح والذهب ومنتجات أخرى[1].

يتبيّن من خلال تتبّع مختلف الآراء والروايات حول أصل تسمية **"الطوارق"**، أن الاسم لا يحظى باتفاق موحّد بين الباحثين ،بل تتعدد حوله التفسيرات **اللغوية** ، **التاريخية** ، **والأسطورية** ، ما يعكس غنى هذا المجتمع وعمق جذوره الثقافية في الصحراء المغاربية .

خلال الفترة الاستعمارية، قاوم الطوارق بمحاولات الهيمنة الأجنبية،سواء من قبل القوى الإستعمارية الفرنسية أو غيرها. كثيراً ما جعلت معرفتهم بالتضاريس وتكتيكات حرب العصابات التي اتبعوها صعوبة في استعمار أراضيهم بالكامل.[2]

[1] هرباش زاجية ، **الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين " دوماس أنموذجا "**، مجلة عصور الجديدة ، ع 6 ، 2012 ، ص 30 .

[2] تزايدت الأطماع الفرنسية الاستعمارية على إفريقيا منذ سقوط الجزائر سنة **1830** م ، وبرزت بشكل لافت حتى كادت تحوله إلى صراع دولي على المناطق الأكثر أهمية و استراتيجية ، ومنها منطقة توات التي تحولت إلى مسألة فرنسية تتجاذبها مع أطماع الدول الأخرى، ظهرت تجلياتها منذ الرحلات الاستكشافية الأوروبية نحو الصحراء الكبرى مطلع القرن 19 م، ثم وصلت القضية إلى ذروتها حينما تحولت توات إلى ملجأ للثوار والمناهضين للاستعمار ، وبلغت درجة من الخطورة أن فضحت مدى التنافس والتواطؤ الأجنبي على المنطقة ، للمزيد من المعلومات **ينظر** ، **طهيري عبد الكريم** ، **بن شرقي خليلي** ، **توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19 م** ،مجلة رفوف ع 11 ، 2023 ، ص 499 -522.

ثالثا: أصولهم :

يعد البحث في الأصول الأثنية للجماعات البشرية من القضايا الشائكة ، والمحفوفة بالمخاطر، حيث تتداخل في تحديدها جملة من العوامل ،تتغلب فيها النزعة العصبية أحيانا ، ويعترضها الحاجز الإيديولوجي تارة أخرى وليس هناك من سبيل علمي دقيق لضبط هذه الأصول حيث تظل مجرد فرضيات قابلة للمراجعة والتعديل وهذا ما ينسحب على أصل قبائل الطوارق.[1]

إختلف المؤرخون قديما وحديثا عن تحديد أصل قبائل الطوارق وكل منهم سلك مسلك مخالفا عن غيره،[2] من حيث تحديد نسبهم، هل هم من البربر؟ أم من العرب؟ أم من العجم؟ هل هم من السكان المحليين القدامى في المنطقة؟ أم هم لاجئون،مهاجرون من بلاد أخرى؟ وربما الشيء الذي أدى إلى تباين المؤرخين فيهم، هو تميز مجتمع الطوارق في حد ذاته، بخصائص ومميزات عن غيره من المجتمعات المعروفة الأخرى، فهم ليسوا سودا، حتى ينسبوا إلى أهل السودان ولغتهم ليست عربية حتى ينسبوا إلى العرب، وسكناهم الصحاري والقفار، الشيء الذي يشكك في نسبهم إلى البربر، الذين يقطنون شمال إفريقيا المختلفة من حيث المناخ،[3]والتضاريس عن الصحراء ، لذا يبدو الأمر معقدا نوعا ما لتحديد أصل هذه القبائل.

[1] خليفي عبد القادر، مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الأنثروبولوجية و السوسيو ثقافية ،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف – مسيلة – الجزائر، ص 633.

[2] الشاوي اللاله البكاي اماهين: **الطوارق عبر العصور**، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، ط 1، 2007، ص 37.

[3] إبراهيم بتقة: لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة خميس مليانة ص 118.

3 –1أصلهم عند المؤرخين العرب:

جاء اهتمام المؤرخين ونسابة العرب بالمنطقة متأخرا، وجرى الإعتماد في التدوين تاريخهم على الروايات الشفاهية التي يتناقلها نسابة البربر من أمثال صاحب الحمار [1] وهانىء بن يصدور الضريسي، إضافة الى بعض نسابة العرب كابن الكلبي القضاعي و اليعقوبي والبكري.[2]

وقد اعتبر ابن خلدون أن أصولهم عربية، نزحوا من جنوبي الجزيرة العربية منذ عهود قديمة قبل الفتح الاسلامي، وأكد ابن خلدون أن قبائل صنهاجة البربرية هم أجداد الطوارق،وقد كانت تعيش أول أمر في أقصى جنوبي المغرب العربي،ثم انتشر أفرادها في الصحراء الكبرى. [3]

رجع جل الأبحاث أصل قبائل الطوارق إلى صنهاجة الذين ينتسبون إلى حمير التي جاءت من اليمن والجزيرة العربية إلى شمال إفريقياوإلى غرب افريقيا ومن أشهر القبائل: لمتونة[4] ،مسوفه[5] ،لمطه.[6]

---

[1] هو أيوب بن أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي الإباضي، ويلقب بصاحب الحمار، من أكبر نسابة البربر،وأغزرهم علما، اعتمد عليه ابن خلدون في الكثير مما دونه عن البربر، **ينظر، الصادق زياني، نصوص جغرافية وتاريخية من كتاب المسالك والممالك المفقود لمحمد بن يوسف الوراق (ت. 363 هـ/974 م) مجموعة من كتابي المغرب للبكري والبيان لابن عذارى المراكشي**، المجلة التاريخية الجزائرية، ع 2، 2023، ص 159 -178.

[2] اكناته ولد النقرة: المرجع السابق ،ص 37.

[3] برباش رتيبة : **مشكلة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي وتداعياتها على الامن القومي الجزائري**، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية، ع 1 ديسمبر 2017، ص 20.

[4] لمتونة : من قبائل صنهاجة ، وقد تولّوا رياسة الملثمين، وهم يُعدّون الطبقة الثانية من صنهاجة **ينظر :ابن خلدون:تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر** ، ج 6 ، ص 202.

[5] لمطه: وهي من القبائل البربرية البرنسية إخوة صنهاجة ومواطنهم بالسوس وما يجاوره من بلاد الصحراء، **ينظر: ابن خلدون،** مصدر السابق ص 270.

[6]تكرا حنان وحمو علي مباركة: قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفيري وشارل دوفوكو، مذكرة ماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،2020-2021 ص 5.

وفيما يتعلق بالطوارق تحديدا فغالبا ما تتم الإشارة إليهم تحت مسمى الملثمين جمعا لهم مع غيرهم من أقوام الصحراء،وممن أشاروا إلى الطوارق أو تحدثوا عنهم تلميحا أو تصريحا عبد الرحمن بن خلدون وابن حوقل والبكري والسعدي والسلاوي والناصري.[1]

ويقول ابن خلدون متحدثا عنهم في جملة صنهاجة :[2]" **هذه الطبقة من صنهاجة وهم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا المراد وهجروا التلول وجفوها و أعتاضو منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا من العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر ، فنزلوا من ريف الحبشة جوار وصاروا مابين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تميز وبشعاره بين الأمم**.. ".[3]

وممن أشادوا بالنسب الصنهاجي للطوارق عبد الرحمن السعدي الذي نشأ بتينبكت و في محيط عائلي علمي،وتولى امامة مسجد (سكوري)،وتولى منصب كتابة ديوان الباشا محمد بن محمد بن عثمان وأقام علاقات سياسية واجتماعية مع الفقهاء و الاعيان في اقليم منحى النيجر ،مما مكنه من تحصيل

[1] اكناته ولد النقرة: المرجع السابق ص 38.

[2] لهم بطون كثيرة منهم تلكاتة وأنجفة وشرطة ولمتونة ومسوقة وكدالة ومندلسة وبنو وارت وبنو يتين، ومن بطون أنجفة بنو مزوات وبنو تغليب وفشتالة وملواقة هكذا يكاد نقل بعض نسّابة البربر في كتبهم وذكر آخرون من مؤرّخي البربر أن بطونهم تنتهي إلى سبعين بطنا وذكر ابن الكلبيّ والطبري أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر وكان أعظم قبائل صنهاجة بلكانة وفيهم كان الملك الأول. وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وأفريقية، وهم أهل مدر. ومواطن مسوقة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء، وهم أهل وبر، **ينظر، ابن خلدون**، المصدر السابق، ج 6، ص 202.

[3] ابن خلدون : مصدر سابق ، ص 146 .

معلومات تاريخية وجغرافيةوبشرية لذلك فإن حديثه عن الطوارق يأتي من منطلق الخبرة التاريخية والممارسة السياسية الاجتماعية ،قال عنهم :"وهم المسوفة ،وينتسبون الى صنهاجة و صنهاجة يرفعون انسابهم الى حمير "[1]

ومنهم من يقول إن زناته وصنهاجة التي تفرع منها التوارق هم قبيلة "**جيتولي**" القديمة التي تسكن الجبال و التي إنحدر منها التوارق في الحقبة الذي حكم فيه الفينيقيين يسيطرون على المناطق الساحلية المزدهرة على ضفاف البحر الأبيض المتوسط ، وصولًا إلى سلسلة جبال الأطلس يسكنون الجبال المذكورة يطلق عليهم جيتولي قبائل صحراوية معروفة بالتوحش ، السلب، النهب تفرعت من هؤلاء " الجيتول" في القرون الوسطى وصنهاجة وقبائل التوارق

المختلفة الموجودة الآن.[2]

يخالف بعض الباحثين الرأي القائل بانتماء الطوارق إلى القومية الأمازيغية (البربرية). وتشير المصادر التاريخية العربية، التي تناولت أصل البربر وسكان شمال إفريقيا، إلى أن البربر والأفارقة يُنسبون إلى حام بن نوح عليه السلام، وأنهم استوطنوا فلسطين قبل أن يهاجروا منها بعد مقتل ملكهم جالوت على يد

[1] اكناته ولد النقرة: السابق المرجع،ص 39 .

[2] مرموري حسن: التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ، منشو ارت المجلس الأعلى للغة العربية ،ط1، الجزائر 2010،ص 147.

النبي داوود عليه السلام.وفي السياق ذاته يذكر الباحث الجزائري ابن بيلا التنبكتي أن كتب التاريخ القديمة، مثل كتابات بطليموس وهيرودوت، تؤكد أن الطوارق هاجروا قديماً من الشرق، وكانوا يُعرفون في تلك المصادر باسم "الليبو" أو "الليبيين"، وهو الإسم الذي أطلقه المصريون القدماء على سكان شمال إفريقيا.كما أطلق عليهم الإغريق والرومان لاحقًا اسم "البربر"،والذي كان يعني "الهمج" في لغاتهم[1].

وإتجهوا إلى جهة المغرب بعد أن قطعوا نهر النيل ،وإفترقوا في جهات عدة ،وإنتشرت قبائلهم في بلاد المغرب ، وتزايدت بطونهم ، واستوطنوا شمال إفريقيا ، وعمروها ، وأطلق عليهم اسم البربر ، التي لم تثبت وتؤكد المصادر العربية مصدره.[2]

أجمل الباحث التونسي محسن التليلي في دراسته الموسومة : الإسلام البدوي : إسلام الطوارق أنموذجا،أصول هؤلاء حيث كتب :فالطوارق هم خليط من سكان الصحراء الإفريقية القدامى ، ومن

[1] التنبكتي :الطوارق عائدون للنثور،منشورات منظمة تامينوت،(د-ت)،ص16-17.

[2] إبراهيم بتقة:مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر(1890 -1920) ، **اشراف** شريف خالد صبار ،أطروحة 6 ماجستير، الجزائر،كلية علوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، (2009-2010) ص 10 .

ألامازيغ البربر،إمتزج عبر التاريخ بعناصر عربية من بني هلال،ومن المسلمين المرابطين،ليشكل مجموعات قبلية منسجمة ،سيطرت منذ القدم على طرق التجارة الصحراوية وواحاتها إلى المرحلة التاريخية المعاصرة. [1]

ويعتقد بعض المؤرخين أن الطوارق هم أحفاد القرمانت الذين عاشوا بسهول فزان، وقد تحدث عنهم لأول مرة هيرودت،ووصف حضارتهم بالعظيمة حين زار ليبيا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ومر بفزان ووصف تربتها بأنها عبارة عن روابي من الملح تكسوها الينابيع وأشجار النخيل المثمرة وقال أنهم كانوا يزرعون التربة الخصبة ويستنبتونها فوق روابي الملح،ولفت إنتباهه شكل قرون ثيرانهم وعربات خيولهم ذات العجلات الأربعة،والتي يستخدمونها لمطاردة سكان الكهوف حيث إتسموا بالمهارة.

يعتقد العديد من الطوارق أنهم ينحدرون من جدة عظيمة وتركت مجدا مؤثرا هي تنهنان وهذا الاسم مركب من جزئيين (تين – هنان)وهي لفظ من لهجة التماهاك القديمة وتعني بالعربية ناصبة الخيام ،والتي تعد الجدة العليا لكل الرجال الملثمين (يعني الطوارق) وكانت امرأة حكيمة قدمت ذات زمن من منطقة تافيلالت الواقعة جنوب المغرب الأقصى حاليا برفقة خادمتها "تاكامات " وعدد من العبيد استقروا بقافلتها الصغيرة في منطقة الأهقارالتي كان يسكنها قوم (الإسباتن) المعرفون بخشونة طبعهم وخصوصية لباسهم المشكل من جلود الحيوانات وبعبادتهم للأوثان ويتحدثون لغة جد قديمة ،وينحدرون من"سيرونيك"بليبيا وتمكنت كسب ود هؤلاء السكان فحدث تناسق بين عبقرية هذه المرأة وشجاعة أهل البلاد وتمكنت بحكمتها وخبرتها تأسيس مملكة كبيرة تمتد على مناطق واسعة

[1] عبد القادر خليفي:المرجع نفسه،ص 245 .

من الصحراء فأصبحوا الطوارق يرجعون الإنتساب لأمهاتهم ويعتزون به عكس الشعوب الشرقية،حيث يصبح الثدي في نظرهم هو موئل البطولة والسؤدد. [1]

3- 2 أصلهم عند المؤرخين الغرب :

هناك من كتاب الغربيين من يزعم أن أصل الطوارق ليس من البربر ،وإنما هم من شعوب ما وراء البحر ،ويذهب آخرون إلى أنّ ليس لهم علاقة لا بالبتر ولا بالبرانس،وهم من أصل قوقازي ، وهي منطقة عبور لهجرة الشعوب من اسيا الى اوروبا والعكس،وفي رواية أنّ الملك الغازي الأسطوري هرقل لما توفي في إسبانيا وتشتت جيشه الذي غزا به أقطار آسيا وأوربا كان يتشكلّ من عدة شعوب ومرّت فرقة منهم إلى جرمة وأسست مدينة جرمة نسبة إليهم.[2]

ثم أطلق هذا الإسم على الشعوب الملثمة خارج التي تقطنه ،ثم بمجيء الرومان أطلق عليهم القرامونت إلا أن هناك من يرى أن القرامانت شعب خارج المنطقة ،وغزا الغزاة في العهد إلاغريقي الروماني عهد هيرودوت ،وكانت عاصمتهم في القرن التاسع غراما Garama ، والتي حولت إلى قرية جرمةDjerma ، وكونت مملكة عظيمة وتوسعت حتى الصحراء الوسطى،وهو ما تؤكده الرسومات في صخور الجبال الهقار و الطاسيلي ناجر ،ودعمتها ابحاث علم الآثار مثل الباحثين الفرنسيين من أمثال إيميل فليكس غوتييه في منطقة الفزان وينسبونها إلى الحضارة الرومانية. [3]

[1] – أكنانة ولد النقره:المرجع السابق،ص51 -53.

[2] إبراهيم بتقه: المرجع السابق ص 123.

[3] إبراهيم بتقة: نفسه ، ص 125

إن أغلب الكتاب والباحثين اتفقوا على أن أصل الطوارق يعود الى زمن بعيد ،ومنهم هنري لوت[1] Henri lhote الذي قام بعدة دراسات ميدانية وبحوث استكشافية تخص الطوارق وما يحيط بهم من أراضي ومرتفعات ومياه و أودية وحيوانات ،حيث طرح مجموعة الفرضيات و الإقتراحات التي توصل إليها،على أن أصلهم ليبي مصري ،من خلال تلك الرسومات و النقوش التي عثر عليها بالهقار والطاسيلي الشبيهة بتلك التي وجدت بمصر وليبيا ،وهذا ما جعل المؤلفين الفرنسيين يستبعدون الأصل العربي للطوارق ويؤكدون على البربري، أما شارل دي فوكو [2] فقد اتفق مع هنري لوت في الرأي وقال فيهم::هم من قدماء المصريين ،لغتهم وكتاباتهم تدل على ذلك.

وهناك إتجاه اخر جسدته كتابات وأصوات من داخل ابناء الطوارق انفسهم يشدد على خصوصية واستقلالية الانتماء العرقي و الثقافي للطوارق بعيدا عن التجاذبات الايديولوجية بين دعاة القوميتين العربية و الامازيغية ،والتي تحاول تجيرهم لصالح هذا الطرف او ذاك على حساب انتمائهم الهوياتي.

ويرى هذا الإتجاه أن الثابت الوحيد الذي يمكن التعويل عليه وفي ضوء إستحالة الحسم العلمي في المسائل الانتروبولوجية هو إنتماء الطوارق إلى الأمة الإسلامية وفضائها الثقافي والحضاري،وهو الإطار المرجعي الذي أسهم الطوارق جنبا إلى جنب مع إخوانهم من ابناء العرب والبربر والزنوج في بناء نسقه

[1] هنري لوت:هو جغرافي باحث قام بعدة رحلات استكشافية في بلاد الطوارق ،خلال الثلاثينات ،ولد سنة 1903،وقد سخر حياته للبحث واكتشاف الصحراء. واستطاع ان يظفر برحلة علمية لاكتشاف الصحراء وسنة لم يتعد 25 عاما سنة 1929 وتوفي سنة 1991 وخلف عدة كتب منها :طوارق الهقار .**ينظر: امال هاشمي** المرجع السابق ص 29.

[2] شارل دي فوكو :هو قسيس من الاباء البيض ،بتاريخ 1858/09/16 بستراسبوغ ، في الاحياء الراقية للعائلات:"النبيلة" عاش ببني عباس ما بين 1900 و 1904 حيث بنى هناك اول منسك،ثم انتقل إلى تمنغاست سنة 1905 م واستقر هناك الى ان قتل سنة 1916 **ينظر**حسن مرموري المرجع السابق ،ص 179 .

المعرفي والمادي،حيث يشكل الإسلام الى جانب المكونين البربري الأمازيغي والعربي أهم الاطياف الملونة للهوية الطارقية،ولم يشعر الطوارق أن هناك تنافرا أو تناقضا جوهريا بين المكونين.

و أضاف بأن الشعب الطارقي هو شعب مسلم من أصل سامي،إحتفظ بهويته الحضارية الأصيلة،ولغته الوطنية الخاصة به ،وحروفها تسمى التيفناغ،وهي تجعله أحد الشعوب الأفريقية النادرة ،التي تملك أبجدية نظيفة،يرجع وجودها الى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تقريبا ،كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وأفريقيا الشمالية.[1]

رابعا : تفرعات القبائل الطارقية

عرفت الصحراء الكبرى ،الممتدة من جنوب الجزائر إلى شمال النيجر ومالي،إنتشارًا واسعًا للقبائل الطارقية التي تتميز ببنية إجتماعية معقدة ومتفرعة،تتوزع وفقًا للانتماء الجغرافي والسلالي والعشائري. ويمكن تصنيف أبرز هذه التفرعات كما يلي:

تُعدّ **قبائل كل هوگار** (Kel Ahaggar) من أعرق التفرعات الطارقية ،وقد استقرت في منطقة الهقار جنوب الجزائر ، تحديدًا في محيط تمنراست. وتُعد من القبائل التي حافظت على نفوذ سياسي معتبر، خاصة بعد تأسيس ما يُعرف بـ"سلطنة الهقار" التي كان يرأسها "الأمينوكال "، وهو زعيم قبلي يحكم بالتشاور مع زعماء الفروع الأخرى.تميزت هذه القبيلة بكونها أقل تعرّبًا من غيرها،ما سمح لها بالحفاظ على اللغة التارقية والعادات الاجتماعية التقليدية كاللباس،والزواج ،وشبكات الحماية القبَلية.[2] أما **قبائل كل آجر** (Kel Ajjer) فقد انتشرت في منطقة غات جنوب ليبيا،وامتدت أحيانًا إلى

[1] أكناته ولد النقرة:المرجع السابق ص 50.

[2] إبراهيم بتقة: المرجع السابق، ص 120.

أقصى الجنوب الشرقي للجزائر،وهي من القبائل ذات التأثير الثقافي الكبير على محيطها،نظرًا لارتباطها بالتجارة الصحراوية التاريخية عبر قوافل الملح والذهب التي كانت تنطلق من النيجر نحو الشمال. وقد لعبت هذه القبيلة دور الوسيط التجاري بين مجتمعات الطوارق في الداخل والقبائل العربية في الشمال.[1]وتبرز كذلك **قبائل كل آير** (Kel Aïr) التي اتخذت من جبال آير في شمال النيجر موطنًا رئيسيًا لها،وكانت على علاقة وثيقة بممالك الهوسا،خاصة في فترات الازدهار التجاري في الساحل الإفريقي.وتتميزهذه القبيلة بتنوعها العشائري،حيث تضم فروعًا عديدة منها إينسيرام وإيموهاغ،وتمتلك تجربة عريقة في الاندماج ضمن سلطات محلية دون التنازل عن استقلالها الثقافي والإجتماعي. [2]

أما **قبائل كل أضغاغ** (Kel Adagh)، فقد ظهرت بقوة في شمال مالي ضمن منطقة أزواد، وهي منطقة كانت في قلب التوترات السياسية في العقود الأخيرة.تلعب هذه القبيلة دورًا سياسيًا بارزًا، وتعتبر من الجهات الفاعلة في الحركات الطارقية المطالبة بالحقوق الثقافية والانفصال عن الدولة المركزية. تمتاز بمرونة تنظيمها، وقدرتها على التأقلم مع المتغيرات الجيوسياسية.[3]وفي قلب الصحراء الجزائرية، تظهر **قبائل كل تاسيلي** (Kel Tassili) التي تنتمي إلى منطقة تاسيلي ناجر المعروفة بتراثها الصخري الفريد. اشتهرت هذه القبائل بالحفاظ على الذاكرة الجماعية للطوارق من خلال الرواية الشفوية والرموز الصخرية،ويُعد أفرادها من أبرز ناقلي التراث الثقافي غير المادي. [4]أما **قبائل كل يلمدن** (Kel

[1]عبد القادر خليفي:المرجع نفسه ص 245.

[2]إبراهيم بتقة، مرجع سابق، ص 122.

[3]–عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 248.

[4]إبراهيم بتقة، مرجع سابق، ص 125.

(Ilemmeden، فهي من التكتلات السكانية الكبرى المنتشرة في النيجر ومالي.وقد اشتهرت بتنظيمها الهرمي الصارم وتقسيماتها العشائرية التي شملت طبقة "إيموهاغ" (النبلاء المحاربين)، و"إينادن"(الحرفيين)،و"إيكلان" (الخدم).وكانت لها علاقات متوترة أحيانًا مع قبائل آير المجاورة بسبب المنافسة على مصادر الماء والمرعى. [1]

وتُسجل **قبائل كل إيترام** (Kel Itaram) حضورها في مناطق متعددة من مالي،حيث ترتبط هذه المجموعة بنشاطات الشعر والموسيقى التقليدية، وخاصة فن "الإزناد" الذي يُستخدم في تأريخ الأنساب والمعارك والبطولات.وقد ساهمت في الحفاظ على الأدب الشفهي للطوارق.[2]في المقابل، فإن **قبائل كل آدرار** (Kel Adrar) المنتشرة في منطقة آدرار إيفوغاس،شمال مالي،قد عُرفت بنزعتها المقاومة ضد القوى الإستعمارية،وبرز منها قادة تاريخيون تزعموا الثورات ضد الإحتلال الفرنسي في بدايات القرن العشرين.وتعد هذه القبيلة مثالًا عن طوارق الجبل الذين يمتازون بمرونة في التنقل وتكتيك دفاعي في مواجهة أي خطر خارجي.

أما **قبائل كل تدمكت** (Kel Tademaket)، فتتميز باستقرارها النسبي وميلها للأنشطة الزراعية إلى جانب الرعي، بخلاف كثير من القبائل الأخرى.وقد حافظت على نظام تقليدي في تنظيم الأراضي والمراعي عرف بـ"أكالف"،الذي يقوم على تشارك جماعي للموارد الطبيعية بين العائلات الطارقية.[3]وتُعد **قبائل كل أنصار** (Kel Ansar) من القبائل ذات الطابع الديني، إذ كانت في فترة من الفترات تمثل

[1] عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 250.

[2] إبراهيم بتقة، مرجع سابق، ص 127.

[3] عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص 244-245 .

المرجعية الدينية للطوارق المسلمين في مالي، خاصة في منطقة تمبكتو. وقد لعبت دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في المجتمعات المجاورة من خلال تعليم القرآن والفقه المالكي. [1]

أخيرًا توجد **قبائل كل السوق** (Kel Essouk) التي استقرت قديمًا في مناطق الأسواق القديمة، ولها علاقة وثيقة بالأنشطة التجارية. يعتقد كثير من الباحثين أن تسميتها جاءت من دورها في تنظيم الأسواق الكبرى التي كانت تُقام موسمياً في الصحراء الكبرى،والتي شكلت مركزًا ثقافيًا ودينيًا واقتصاديًا. [2]

وخاتمة لهذا الفصل تستنتج ان تُعد الصحراء الكبرى الموطن الطبيعي للطوارق ،حيث ينتشرون في الصحراء المغاربية من **ليبيا** (**غات، أوباري**)،مرورًا ب**الجزائر** (**تمنغست، جانت، برج باجي مختار**).

تضاربت الآراء حول أصل اسم "الطوارق"، فمنها: من يربطه بكلمة "طارق" أي القادم ليلًا عبر الصحراء.من يربطه بمنطقة **"تارقا"** في فزان ومن يرى أنها تحريف لكلمة "توارك" بمعنى تاركي الإسلام ثم العائدين إليه.

يتّضح من خلال استعراض مختلف الآراء التاريخية حول الأصول العرقية للطوارق،أن هذا الشعب العريق لا يمكن اختزاله في إنتماء واحد أو أصل محدد.فالطوارق هم نتاج تفاعل طويل ومعقّد بين حضارات وشعوب متعددة مرّت بالصحراء المغاربية ،مما منحهم شخصية مميزة وهوية ثقافية فريدة.

[1] إبراهيم بتقة، مرجع سابق، ص 128.

[2] –عبد القادر خليفي، مرجع سابق، ص. 245.

الفصل الثاني :البنية الإجتماعية للطوارق

تقوم البنية الاجتماعية عند الطوارق على نظام قبلي صارم، يُنظّم العلاقات داخل المجتمع من خلال توزيع واضح للسلطة والمهام.ويتصدر هذا البناء السلطان أو الأمينوكال،تليه قيادة شيوخ القبائل والوجهاء ،فيما تلعب المجالس القبلية دورًا في اتخاذ القرارات المصيرية .وتتوزع الطبقات الاجتماعية إلى النبلاء أصحاب النفوذ،وطبقة الإمغاد التابعة ،ثم الحرفيين (الإينادن) ،والفقهاء الذين يتمتعون بمكانة دينية ،إضافة إلى العبيد الذين كانوا يُدمجون تدريجيًا داخل نسيج المجتمع.حيث يُسند لكل فئة دورمحدد في الحفاظ على استقرار المجتمع.كمالعبت اللغة، والدين، والفنون، والتقاليد الاقتصادية دورًا أساسيًا في تعزيز وحدة الجماعة، تجسّد البنية الاجتماعية للطوارق نموذجًا تقليديًا مستقرًا مكّنهم من إدارة شؤونهم ذاتيًا دون الحاجة لدولة مركزية، مما جعلهم مثالًا على صمود المجتمعات التقليدية في وجه التحوّلات الحديثة.

أولا: النظام الاجتماعي للطوارق:

رغم أن الطوارق لم يعرفوا عبر تاريخهم دولة مركزية موحدة أو كيانًا سياسيًا معترفًا به دوليًا – باستثناء تجربة دولة المرابطين في القرن الحادي عشر إلى الثاني عشر ميلادي – إلا أنهم نجحوا في صياغة نظام اجتماعي–سياسي مستقر،قائم على الأعراف والروابط القبلية المتينة.وقد شارك الطوارق بقوة في بناء المرابطين ،حيث شكلوا ركيزة عسكرية وسياسية مهمة ، وانضمت معهم قبائل أخرى من سكان الصحراء الكبرى والمغرب العربي في صحرائهم الشاسعة ، لم يكن غياب الدولة الحديثة مانعًا من وجود تنظيم اجتماعي متماسك ،بل أسّس الطوارق لأنفسهم نظامًا شبه سياسي تعارفوا عليه واحترموه

لأجيال ،فحكمت أعرافهم وعلاقاتهم القبلية تفاصيل حياتهم اليومية ،وضمن هذا النظام تم تقاسم المسؤوليات والسلطات على أسس تراتبية واضحة .[1]

توزعت مجتمعات الطوارق في المنطقة المغاربية إلى مجموعات قبلية ،لكلٍّ منها مركزها الاجتماعي والقبلي الخاص،وتعتمد في تنظيمها الداخلي على توازن دقيق في القوى والعلاقات بين مختلف القبائل من بينها نذكر ما يلي:

- **سلطنة آزڤـر**: وتقع في سهول ووديان وواحات جبال التاسيلي، وتعتبر مدينة غات في الجنوب الغربي الليبي مركزا لها، وتضم قبائل مثل أوراغن، منغاستن وإمنان، وطابعها الاجتماعي يرتكز على تكافل القبائل وتوزيع الأدوار في الحياة اليومية.
- **سلطنة الهقار**: تقع غرب سلطنة آزڤـر في جبال الهقار،وتُعتبر مدينة تمنراست مركزها الاجتماعي.تتسم هذه السلطنة بتلاحم اجتماعي قوي بين قبائلها مثل "كل أغلاه"،وتتمتع بأدوار متخصصة داخل النظام القبلي.[2]

1-1 هيكل السلطة الاجتماعية

يقوم النظام الاجتماعي للطوارق على ثلاثة مستويات من القيادة المجتمعية:

[1] محمدسعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 39.

[2] أكناته ولد النقرة :المرجع السابق ، ص 60-61.

أ. **السلطان الامنوكال**: (Amenokal) [1]

يمثل قمة الهرم الاجتماعي ،ويتولى دور الوسيط الأعلى بين القبائل. يُنتخب من أقوى شيوخها،لكن يتم إختياره من خلال مشاورة جماعية للمجلس العام (المجلس الاتحادي) حيث تجسد الطابع التوافقي للنظام الاجتماعي.يُعد هذا المنصب مركزًا للوحدة الإجتماعية،ويتمتع السلطان بمكانة رمزية وأخلاقية رفيعة ،إلى جانب سلطاته في حل النزاعات والتوجيه العام.

- **المجلس العام (المجلس الاتحادي)**: يتكوّن من شيوخ القبائل والوجهاء وقادة الجند،ويُعقد عند الضرورة للنظر في القضايا الإجتماعية الكبرى،كحل النزاعات الكبرى أو إختيار السلطان الجديد.هذا المجلس يُمثّل الشكل الأرقى للتشاور الجماعي ،ويعكس قوة الروابط القبلية والتقاليد الديمقراطية الشعبية المتجذرة.

ب. **شيخ القبيلة(أمغار)**:

هو المسؤول المباشر عن القبيلة،ويقوم بدور الأب الجامع ،إذ يدير شؤون أفراد قبيلته اليومية ،ويفصل بينهم في الخصومات،ويُعبر عن صوتهم في المجالس العامة.يُعد هذا المنصب ركيزة في تعزيز اللحمة الداخلية وصون كرامة الجماعة.

ج. **الإمام**:

يحتل العلماء والفقهاء مكانة اجتماعية عالية بين الطوارق،فالإمام لم يكن مجرد مرشد ديني،بل

[1] - أمنوكال :نتاج لكلمتين"مسيس"التي تعني "سيد" و"أكال"يعني "البلد"او "الأرض" وتركيبها يكون "مسيس –ن–اكال"بمعنى "سيد البلد "،و أدت الضرورة اللغوية الى تطور الكلمة وتحولها الى " **أمنوكال**"،**ينظر:حسن مرموري : المرجع السابق ،ص 133**.

مستشار أخلاقي وثقافي،له تأثير واسع في التوجيه العام.غيرأن هذا الدور تراجع بفعل الاستعمار الذي قلّص من النشاط العلمي وفرض ثقافة بديلة[1].

ثانيا: الطبقات الاجتماعية الطارقية

يتكون مجتمع الطوارق من عدة فئات اجتماعية،تُحددمكانة كل فئة بناءً على النسب والثروة، واللذان يُعدان الركيزتين الأساسيتين للنفوذ الاجتماعي.وعلى الرغم من أن بعض الأفراد قد ينتمون إلى نفس الأصل القبلي،إلا أن ضعف الثروة قد يدفعهم إلى الانتماء إلى فئات أدنى ،في حين تظل الفئات الدنيا محصورة في ممارسة المهن البسيطة أو "الوضيعة "من منظور المجتمع. يُعد مجتمع الطوارق مجتمعًا قبليًا منظمًا،تخضع فيه كل قبيلة لسلطة الشيخ الذي يتولى مهام الحاكم والقاضي،ويُعاونه في إدارة شؤون القبيلة عدد من كبار السن الذين يتمتعون بالحكمة والخبرة .

تمتلك كل قبيلة مساحة معينة من الأرض تُعرف بـ "المضارب" وتُعد هذه الأرض وطنًا خاصًا بها تمارس فيه أنشطتها الرعوية،و مع ذلك قد تُجبر بعض القبائل على مغادرة أراضيها مؤقتًا بسبب ظروف قاسية مثل الجفاف **أو** ظهور تهديدات خارجية كالعدو ،وفيما يلي عرضٌ لفئات المجتمع الطارقي،و التي سيتم من خلالها توضيح الحقوق والواجبات الخاصة بكل طبقة:

أ. **طبقة النبلاء(إيموجاغ)** : [2]

[1] اكناته ولد النقرة : المرجع السابق ،ص64 .

[2] النبلاء : مصطلح استعمله الفرنسيون لتعريف معنى ايموهاغ لم نجد له بديل ،رغم ان اموهاغ تعني بالطارقية الحر .**ينظر** **Henri Duveyrier exploration du sahara les touarges du nord** paris ,1864 p331.

تُعد هذه الفئة من أعلى الفئات مكانةً في المجتمع،حيث تضم الأفراد الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية الأصيلة.يتميّزون بفرض حضورهم وشخصيتهم على الآخرين،و غالبًا ما ينتمي إليهم السلطان وشيخ القبيلة[1].وهي فئة محاربة لها ثقلها ويطلق عليها فئة الأحرار،و الأسياد و الإشراف ،الذين يتصفون بقوتهم و شجاعتهم و حرياتهم التي يتمتعون بها في الصحراء ، كما يعرفون بالصبر و الثبات وحبهم للعزلة و الإستقلالية وتمسكهم بالسيادة والمكانة.[2]

يعتبر النبلاء عند الطوارق الفئة الوحيدة التي تمتلك الحقوق السياسية الكاملة ويمارسون السلطة ويتحكمون في شؤون القبيلة،الجميع بمجرد وصولهم إلى سن الرشد مدعوون للمشاركة في تجمعات تناقش فيها القضايا و المصالح المشتركة.من مهام النبلاء مراقبة أراضي القبيلة ،وتأمين الطرق التجارية وحماية القوافل،التي تدفع لهم الضرائب والأتاوات مقابل المرورعلى أراضيهم،ومراقبة العدو ومحاربته.[3]كان النبلاء عند الطوارق ينظرون إلى الأعمال اليدوية على أنها لا تليق بمكانتهم الاجتماعية، ويرون أنها من شأن الطبقات الأدنى. وبلغ بهم الإحساس بالسيادة أنهم كانوا أحيانًا يرفضون تعلم القراءة و الكتابة،إعتقادًا منهم أن هذه الأمور ليست من مهام السادة. [4]

[1] إياد يونس عربي ،عفراء عطا الله عبد الكريم :المرجع السابق ص 28.

[2] امال الهاشمي:المرجع السابق ،ص 50.

[3] Duveyrier Henri: Opt .Ci ، p331.

[4] Ibid. p 332 .

في نهاية كل موسم زراعي يتجه النبلاء صوب الأراضي الزراعية المنتشرة بجانب الأودية و الأنهار، ليأخذوا حصتهم من المحصول،توجد فوارق بين النبلاء و الأتباع تظهر في العادات والاجتماعية مثل طريقة الأكل و ركوب المواشي ونوع الأغذية. [1]

هناك قبائل تعتبر نبيلة، حيث يكفي أن يذكر الشخص انتماءه لإحداها حتى يُعرف مباشرة أنه من فئة النبلاء. ومن أبرز هذه القبائل في المنطقة المغاربية:

- **في آيير**: كيل أواي – كيل تدلي – إيكر كزن – كيل فروان – إفوغاس – كيل فداي- إهقارن – كل أغاروس.
- **الهقار وأزفر**: كل اغال – تيطوق – إمنغساتن – إفوغاس – أوراغن – إلمطين – إمنان.
- **في أضغاغ** : (جبل أفوغاس) إفوغاسن – إدنان. [2]

ب. **فئة امغاد** (Imghad):

تُطلق عليهم تسمية "أصحاب الماعز"،وهي إشارة إلى مكانتهم الإجتماعية المتدنية مقارنة بالنبلاء[3] تكوّنت هذه الفئة من العائلات والعشائر التي لم تتح لها الظروف أن تلتزم بالعادات والتقاليد الطارقية الأصيلة ،ولم تفرض على نفسها إحترام القواعد الإجتماعية الصارمة التي يتمسك بها النبلاء.

إما لأنهم لا يطمحون في الوصول إلى السلطة ولا يسعون إلى فرض أنفسهم على باقي القبائل، أو لأنهم من قبائل مغلوبة خضعت لقبائل أقوى سيطرت عليها وألحقتها بها،أو لأنهم وافدون غرباء جاؤوا

[1] إياد يونس عربيي و عفراء عطا عبد الكريم :المرجع السابق ص 29.

[2] محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ،ص 66.

[3] Duveyrier Henei : Opt.Ci p33.

إلى المنطقة في حالة ضعف،فكان أقصى طموحهم أن يُسمح لهم بالإقامة ورعي مواشيهم في أراضي القبائل المستضيفة ،مكتفين بالانضمام إلى رعايا السلطة القائمة دون أي طموح سياسي.[1]

ورغم مكانتهم المتواضعة ،لا يتردد أفراد طبقة الإمغاد في قول كلمة الحق أمام السلطان،كما أنهم ينشطون في ميادين التجارة والزراعة وبهذا إعتبر هؤلاء الخدم الإمغاد موردا اقتصاديا هاما للنبلاء، حيث يُوفّرون لهم الحبوب،والقمح ،والحليب يتركز عمل الإمغاد غالبًا في حرفة الصيد،والتي يُمارسونها في خدمة سادتهم من طبقة النبلاء.وأفراد طبقة الإمغاد هم محاربون أشداء ويتخذ منهم السلاطين جل جيوشهم.[2]

من أشهر قبائل:

- . **في الهقار و آزقر** : كيل ولّي – تاغت ملت – إمقرغسن .
- **في ألايير** : إبّركالن .

ج–طبقة الفقهاء : (Ineslemen)

وتعني المتدينون ،أو أصحاب إلاسلام ،هم النبلاء الذين تخلوا عن كل دور سياسي في ادارة شؤون الاتحادات من اجل الحصول على سلطة دينية اعظم وهي السلطة الضرورية في مجتمع لا تمثل فيه أي قوة العدالة .[3]

[1] محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ص 67.

[2] إياد يونس عربي و عفراء عطا عبد الكريم :المرجع السابق ص 22.

[3] Duveyrier Henei : Opt . Ci p 332.

ليس لهم أي علاقة بالحروب وتخصصهم الوحيد هو الدين ،مما جعلهم فئة مستقلة ،وبما ان سكنهم قرب مسجد الذي اطلق عليهم كل تيمسجيد او المرابطون،وهم يدفعون الضريبة للامنوكال، ويستقبلون الهدايا من الطبقات الأخرى ،ولهم الحق بامتلاك العبيد ،ومن واجباتهم هو تربية القبيلة دينيا،وفي بعض الاحيان يلجأ الطوارق لهذه الفئة لحل نزاعاتهم والبت في الخصومات أي أشبه بالقضاة [1].

وصفهم هنري دوفيريه بقوله :"**في مجتمع مثل مجتمع الطوارق ،لولا تدخل المرابطين في شؤون الحياة الخاصة و العامة ،لَعَمّت الفوضى ،ولم يكن للاضطراب أي حدود**"[2].وهذا القول يُعد دليلًا قويًا على المكانة البارزة التي تؤديها طبقة الفقهاء في الحفاظ على التوازن والنظام داخل المجتمع الطارقي ،من خلال إرشادهم الديني وتدخلهم في مختلف مجالات الحياة.

ومن أشهر قبائل هذه الطبقة :

كل أغلال– أيت أواري – كيل انتصر– إكدالن – كل السوق.

د– الحرفيون "الاينادن" : (Inadan)

يقول الطوارق إن هذه الطبقة ترجع إلى عصور قديمة وأصول قديمة ويسميها الطوارق(إنيضن) ومعناها بلغتهم إبن العصر القديم ومفردها(إيناض)،مؤنثها(تيناط) [3]،

[1] اياد يونس عربي وعفراء عطا عبد الكريم : المرجع السابق ،ص 30.

[2] Duveyrier Henei: Opt.Ci، p 353

[3] هاشمي امال :المرجع السابق ص 57.

تُعد هذه الطبقة الحرفية هي المحتكرة للصناعات التقليدية في المجتمع الصحراوي ،إذ يقع على عاتقها تصنيع مختلف مستلزمات الحياة اليومية في الصحراء فهي التي تُنتج الأدوات المنزلية مثل القصاع، الأقداح ،الخيام الجلدية ،أوتادها ،ركائزها ،إلى جانب رُحال الإبل ،سروج الخيل ،وتجهيزات الإبل من أكياس جلدية مزخرفة ومطرزة[1]. يشتركون في المعارك ولا يخوضونها وهم أتباع من غلب بالرغم من حذقهم صناعة الاسلحة و اهم قبائل الحدادين:

- **كنوان** : التي تتخصص في صناعة الطوب والخزف وأواني الطبخ والقدور وقلل تبريد الماء وقلل حفظ اللبن والسمن وغيرها.
- **إيكدمات** : يتخصصون في صناعة الحصر وفرش المنازل و احتياجات الخيمةوإحياء حفلات السهر إذ يقومون ببعض التمثيليات البدائية المضحكة حيث شاهدتها عدة مرات في مناطق الصحراء وفي مناسبات الأفراح [2] .

هـ–العبيد : (إيكالن – إيدرفان – إبروكن)

عند الطوارق ،كان النبلاء والأغنياء يملكون عبيدًا من الزنوج عن طريق الغزو او سلب القوافل ،او باقتنائهم من اسواق السودان و تمبكتو ،وكانوا يُستخدمون في الأعمال المنزلية ورعاية المواشي والزراعة

[1] محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ص 70.

[2] تاج اكرام و بلفراق محجوبة :قبائل الطوارق بالجزائر ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،قسم التاريخ تيارت 2022 – 2023 ص 44.

ومرافقة القوافل وجلب المياه من الابار والحطب لإشعال النار.النساء منهم كنّ يعملن كخادمات أو محظيات.و مع ذلك كانت العبودية تُعتبر"لطيفة"مقارنةً بما كان يحدث في المستعمرات،حيث يُعامل العبد باحترام ويُنظر إليه أحيانًا كأحد أفراد الأسرة[1].

هذه الطبقة أغلبها من السود الذين كانوا يستخدمون لدى القبائل القوية وقد إمتزجوا بالمجتمع الطارقي وأصبح كل شخص ينتمي إلى قبيلة سيده وعلى مدى الزمن تحرروا وأصبحوا جزءا من قبائل الطوارق التي صاروا ينسبون إليها ، وليس لهؤلاء الناس قبيلة مخصوصة و إنما موزعون في كل قبائل [2].

ثالثا :التأثير الثقافي على البنية الاجتماعية

3-1 اللغة والكتابة:

تُعد اللغة الطارقية إحدى الركائز الجوهرية لهوية المجتمع الطارقي ، فهي ليست مجرد وسيلة تواصل ، بل أداة أساسية لحفظ الموروث الثقافي ونقله بين الأجيال.إذ تشكّل اللغة مظهرًا من مظاهر التماسك الاجتماعي،فيها تُصاغ الحكايات ،وتُروى القصص،وتُرسّخ القيم والعادات[3]. وقد تناول عدد من الباحثين لغة الطوارق وأصولها ،من بينهم"غويته"الذي أشار في كتاباته إلى أن

[1] - Henri Duveyrier: Opt.Ci ، p 339

[2]- محمد سعيد القشاط:المرجع السابق ،ص 72.

[3]-تاج إكرام و بلفراق محجوبة :مرجع سابق ،ص 56.

الطوارق يتحدثون لغة تنتمي إلى البربر،ويستخدمون في كتابتها حروفًا هجائية تُعرف باسم "تيفيناغ "[1] ويرى بعض الباحثين أن حروف التيفيناغ[2] تعود في أصولها إلى الأبجدية الفينيقية.ويستدلون على ذلك بأن تحليل كلمة"تيفيناغ " يُظهر أنها تتكوّن من جزئين ،وإذا حذفنا حرف"ت"من بدايتها ،تبقى "فيناغ "، وهي قريبة من "فينيقيين "الذين استوطنوا شمال إفريقيا ،إلا أن هناك آراء أخرى تخالف هذا الطرح ،وتؤكد أن الفينيقيين رغم تأسيسهم لمستعمرات في شمال إفريقيا ، لم تنتشر لغتهم ولا عاداتهم في عمق المناطق الداخلية.وبحلول القرن الخامس الميلادي،اندثرت لغتهم تمامًا حتى في المناطق الساحلية.وتشير الآثار القديمة والمخطوطات والنقوش التي خلفها سكان شمال إفريقيا المعروفون بالبربر إلى وجود نظام لغوي وثقافي مستقل يعكس هويتهم المتجذّرة في المنطقة.[3]

اللغة الطارقية هي لسان شعب الطوارق،التي تُكتب بأبجدية تُعرف بـ"تيفيناغ"أو"تاماشاق"ولها ضوابط يسمونها **تيدباكين**[4].وقد استطاع الطوارق الحفاظ على لغتهم عبر العصور بفضل المراة التي تلعب دورًا محوريًا في ترسيخ اللغة والمحافظة عليها ؛إذ تقع على عاتقهن مهمة تعليم الأبناء ،وهو ما يعكس مكانة المرأة في المجتمع الطارقي باعتبارها حاملة للهوية الثقافية والاجتماعية.

[1]– تيفيناغ :معناها بالتارقية الحروف التي تنسب للفينيقيين ، والفينيقيون هم شاميون من العرب نزحوا الى شمال افريقيا .**ينظر محمد سعيد القشاط** ص 31 .

[2]ينظر ملحق رقم 2.

[3] – الشاوي اللا له البكاي أماهين : المرجع السابق ،ص220 .

[4]– عبد الرحمان الجيلالي :**هؤلاء التوارق الملثمين** ،مجلة الأصالة ، ع1971،72،ص 28.

تُكتب حروف **تيفيناغ** ،أبجدية الطوارق، بأشكال متعددة(أفقياً أو عمودياً)وباتجاهات مختلفة، وأكثرها شيوعًا الكتابة من اليمين إلى اليسار.ويستخدم الطوارق هذه الأبجدية أيضًا في الرسائل المعقدة،إذ يكتبونها في جميع الاتجاهات لزيادة صعوبتها مما يجعل فك رموز الرسالة يستغرق عدة أيام. ونظرًا لأن الأبجدية تتكوّن من 22 حرفًا فقط،فإنهم يضطرون أحيانًا إلى دمج حرفين معًا لإنتاج أصوات غير موجودة في حروفهم الأصلي،فإن الطوارق بذلك يُظهرون حسًا اجتماعيًا قائمًا على الحذر والتكافل والتواصل الفعّال بين أفراد الجماعة.[1]

2-3 الفنون :

أ_الرقص:

الرقص عند الطوارق ليس مجرد أداء فني،بل فعل إجتماعي شامل يعبّر عن مشاعر الجماعة ويُعيد تشكيل علاقاتها.لكل مناسبة عند الطوارق رقصة خاصة:يرقصون للمريض،وللعائد من السفر، وللمولود الجديد،وللزفاف،وللختان،وللحرب،ولقدوم الربيع،وحتى لهطول المطر.فالطارقي عاشق للفن،و ذوّاق للموسيقى ،يُصبح الرقص وسيلة للتنفيس الجماعي ، والتقارب بين الأفراد ،وخلق نوع من التلاحم المجتمعي.

تتنوع الرقصات الطارقية وترتبط بالبيئة الصحراويةتُنظّم وفق طقوس دقيقة،لكل منها رمزيته الاجتماعية ،مثل "**رقصة السلاح**" التي تُبرز دور الرجال في الحماية ،و"**رقصة التام تام** "التي تؤكد البعد الجماعي

[1]– دواس احسن :صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال الرحالة الفرنسيين ، مذكرة لنيل الماجستر ،كلية الاداب واللغات ،السنة الجامعية 2008/2007 ص 78.

في علاج الأفراد من خلال طقس يربط الفرد بالجماعة. حتى **المهاري** (**الجمل**) يشارك في الاحتفال ،في رمزية توحي بأن كل عناصر البيئة متفاعلة ضمن المنظومة الاجتماعية للطوارق ،بما في ذلك الحيوان ،الذي يُقدّر له دور في التعبير الجماعي[1].

ب– الموسيقى:

تُعد الموسيقى عند الطوارق مرآةً أخرى لهويتهم الاجتماعية. الآلات الموسيقية ،مثل **الامزاد** ،لا تُعزف عبثًا،بل تُستخدم في لحظات محددة تُجسّد التلاحم والحنين والانتماء. تصنيع الآلات من البيئة المحلية يُظهر العلاقة العضوية بين الثقافة و البيئة،أما اقتصار العزف على بعض الطبقات ،كالحرفيين أو الحدادين ،فيشير إلى وجود تقسيم اجتماعي وظيفي تُحترم فيه الأدوار[2].

الطبل عند الطوارق،على سبيل المثال ،يتجاوز وظيفته الفنية ،ليصبح وسيلة تواصل رسمية بين القيادة والمجتمع ،دالًا على مكانة السلطة الرمزية والاجتماعية في حياة القبيلة[3].

ج – الأدب الشفهي:

لا يمتلك الطوارق أدبًا مدوّنًا، بل يعتمدون على أدب شفهي يُتناقل جيلًا بعد جيل عبر السرد في المجالس والسهرات،حيث ينقله الكبار إلى الصغار بعفوية.ويتنوّع هذا الأدب بين الشعر والقصص

[1]– محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ،ص 148.

[2] تاج اكرام و بلفراق محجوبة :المرجع السابق ص 60 – 59 .

[3] - H Bissuel : **Les Touareg de I Ouest**، p 100.

[3] محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ،ص 147 –148.

والأمثال التي تُقال في سياقاتها المناسبة،مما يجعله جزءًا أصيلًا من الحياة اليومية والثقافة التارقية[1]. ويُعد هذا الأدب تجسيدًا لتراث الطوارق الثقافي،الذي ينقسم إلى مادي يشمل الخيمة،والأواني، والملابس التقليدية ،ولامادي يتضمن القصص والأساطير والروايات الشفوية والألغاز والأغاني باللغة التماشق،التي تعبّر عن موضوعات كالخيل والحرب والحب والصحراء ،مما يعكس بصدق هوية الطوارق وارتباطهم ببيئتهم .[2]

- **الشعر الطارقي**،باعتباره تجسيدًا لتجربة الحياة ،يُعبر عن مشاعر الفرد المرتبطة بالجماعة ، ويُعزز الانتماء من خلال استحضار الطبيعة والعلاقات اليومية.الشاعر أو"أمسيواي"يُمثّل صوت الجماعة،حيث يتم التعبير من خلاله عن الأحزان والبطولات والانتصارات.
- أما **النثر الطارقي**،بما يشمله من أساطير وحكايات، فهو الذاكرة الجماعية المتنقلة التي تعزز القيم الاجتماعية،وتعيد إنتاجها في كل جيل.ما زالت هذه الحكايات تُروى في المجالس والليالي الصحراوية،كنوع من تثبيت الروابط الأسرية والقبلية،و تأكيد وحدة الجماعة

وقد تم جمع عدد من الامثال الشعبية التاريخية ذات الطابع العلمي و الاجتماعي ،والتي لا تختلف كثيرا في مضمونها و خلاصتها عن الامثال العربية المعروفة ،سواء منها الدارج في الشمال الافريقي او الفصيح من ادب العرب ايام سطوتهم وقوتهم .[3]

---

[2] عيسى ابرزولغ وبناني احمد :**التماس بين الشعر التارقي و الشعر العربي** ،مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست ، مجلة الموروث مجلد 05،عدد01،2023 ص 72.

[3]– محمد السعيد القشاط : المرجع السابق ص 132.

رابعا: التأثير الاقتصادي في البنية الاجتماعية

يلعب الجانب الاقتصادي دورًا محوريًا في تكوين البنية الاجتماعية من خلال :

4-1تجارة القوافل :

شكّلت تجارة القوافل محورًا أساسيًا في تشكيل البنية الاجتماعية للطوارق،إذ كانت مصدرًا رئيسيًا للنفوذ والسلطة داخل القبائل.فالطوارق بحكم موقعهم الجغرافي الاستراتيجي في قلب الصحراء الكبرى،أصبحوا حلقة وصل بين شمال إفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) وممالك إفريقيا جنوب الصحراء مثل كانم، قرو، وسكان بحيرة تشاد[1].

مارست طبقات اجتماعية معيّنة من الطوارق هذا النشاط الحيوي،فبرزت فئات متخصصة في الترحال والتجارة، بينما اضطلعت فئات أخرى بحماية القوافل وتأمين المسارات.وبهذا أسهمت التجارة في تقسيم الأدوار الاجتماعية داخل مجتمع الطوارق،وبرزت مكانة المحاربين الذين وفّروا الحماية للتجار مقابل إتاوات تُدفع لهم.

كما عزّز نظام المقايضة علاقات التبادل بين الجماعات الطارقية، وشكّل وسيلة لربطهم بالمجتمعات المحيطة، ما جعل العلاقات الاقتصادية تُترجم إلى روابط اجتماعية وقَبَلية عابرة للحدود.واحتفظت بعض

[1]- تاج اكرام و بلفراق محجوبة ، مرجع سابق ص 51.

العائلات أو القبائل بمكانة مرموقة نظرًا لتحكمها في طرق القوافل وتوفّرها على المهارات والمعرفة الجغرافية الكفيلة بقيادة المسارات الخطرة[1].

غير أن السيطرة الاستعمارية خاصة الفرنسية،أضعفت هذا التماسك، وأدّت إلى تراجع دور الطوارق التقليدي،ما أخلّ بالبنية الاجتماعية التي كانت قائمة على نفوذ مستمد من التجارة والتنقل الحر كانت القوافل التجارية حينها تدفع للتوارق اتاوات مقابل حمايتها من قطاع الطرق وقد عرفت طرق القوافل الصحراوية الشهيرة التي تسير من الجنوب إلى الشمال ومنها:

1-المغرب عن طريق تيفلالت تيندوف تيمبكتو .

2-الجزائر عن طريق عين صالح .توات تمنغست .اغادس. كانو.

3-الجزائر عن طريق تمنغست .عين قالو .تيساوا .كانو .

4-ليبيا عن طريق طرابلس .غدامس .غات .اقدز .مرزق

5-ليبيا بنغازي القفرة. وداي. كانم . مرزق[2]

[1] - H Bissuel Les Touareg de I Ouest p 128.

[2]-محمد سعيد القشاط : المرجع السابق، ص 77.

4_2تربية المواشي:

تعكس تربية المواشي عند الطوارق بنية اجتماعية تقوم على الترحال الجماعي والتكافل وتقسيم العمل. فالحياة الرعوية تتطلب تنقلاً مستمرًا بحثًا عن الماء و المراعي ، ما يعزز الروابط داخل الفخذ أو القبيلة ،ويؤسس لنظام إجتماعي قائم على الولاء الجماعي والإنضباط.

توزع المهام بين الرجال،الذين يشرفون على التنقل وحماية القطعان ، وبين النساء ،اللواتي يشاركن في الحلب ومعالجة المنتجات الحيوانية. ويظهر كذلك دور الأطفال في مرافقة القطيع وتعلّم مهارات الرعي منذ سن مبكرة،مما يُظهر الطابع التعليمي غير الرسمي الذي يغرس القيم البدوية والقدرة على التحمل[1].كما يرتبط تكديس القطعان بالهيبة الاجتماعية، إذ يعدّ امتلاك أعداد كبيرة من الجمال أو الأبقار رمزًا للغنى والمكانة داخل القبيلة.وتلعب علاقات النسب والمصاهرة دورًا في توسيع دوائر الحماية والتعاون في حال الجفاف أو الغزو،ما يعكس كيف أن النشاط الاقتصادي يُعاد تشكيله داخل نسيج اجتماعي مرن ومتكيف مع البيئة[2].

4–3الحِرَف التقليدية :

تُظهر الحِرَف التقليدية عند الطوارق نظامًا اجتماعيًا دقيقًا يُقسّم العمل تبعًا للمكانة والانتماء. فالحِرَفيون ،وغالبًا ما يُنسبون إلى طبقات أو عشائر محددة مثل (**الإينادن**)الحدادين والحرفيين ، كانوا يحتلون

[1]–بتقة ابراهيم : المرجع السابق ص 86

[2]- القشاط محمد السعيد : المرجع السابق ص67.

موقعًا خاصًا داخل المجتمع ، يجمع بين التقدير والخوف أحيانًا ، نظرًا لما يُعتقد عن امتلاكهم "قوة روحية " أو "معرفة خاصة."

تُورّث الحِرَف عادة عبرالأجيال،ما يدل على وجود تنظيم اجتماعي راسخ يُحدد المهن حسب الأنساب.كما أن النساء لهن دور فاعل في بعض الصناعات كالنسيج ودباغة الجلود،مما يبرز تقاسم الأدوار بشكل يضمن استمرارية الحياة البدوية.

وتُعد الزخارف والنقوش على الأدوات والحلي رموزًا ثقافية تعبّر عن الهوية والانتماء الطبقي أو القبلي ، وتعكس كيف أن المنتوجات اليدوية ليست فقط أدوات عملية ،بل أيضًا وسائل للتعبير عن التفاضل الاجتماعي والهوية الثقافية[1].

من خلال دراسة هذا الفصل توصلت إلى ما يلي :

- يُظهر النظام الاجتماعي للطوارق قدرة استثنائية على التنظيم الذاتي،حيث اعتمد على الأعراف والتقاليد كمرجعية أساسية.
- قامت البنية الاجتماعية على تسلسل قبلي منظم يبدأ بالسلطان (الأمينوكال) ويمر عبر شيوخ القبائل والمجالس التشاورية ،مما وفر آليات فعالة لإدارة الشأن العام.
- تميّز المجتمع الطارقي بتقسيم طبقي واضح شمل فئات النبلاء ،و الإمغاد ،والفقهاء ،والحرفيين ، و العبيد،بحيث أُسندت لكل طبقة وظائف محددة ساهمت في إستقرار النظام القبلي.

[1]- نفسه، ص 69.

- لعبت العناصر الثقافية كالدين، واللغة ، والأدب الشفهي،دورًا مهمًا في ترسيخ الهوية الطارقية والحفاظ على خصوصيتها الحضارية.
- كما ساهمت الأنشطة الاقتصادية التقليدية،مثل تجارة القوافل وتربية المواشي والحِرف،في دعم البنية الاجتماعية وتعزيز النفوذ القبلي.

الفصل الثالث :العادات والتقاليد الطارقية

يمتلك الطوارق **عادات وتقاليد مميزة**،تختلف من منطقة إلى أخرى باختلاف الجنسيات والبيئات ، إلا أن لكل **عائلة أو قبيلة أو مجتمع طارقي** عاداته الخاصة التي يُنظر إليها على أنها **قوانين ملزمة لا يجوز تجاوزها** .

تشمل هذه التقاليد **طرق التعامل في المناسبات العامة** كذلك **أساليب التواصل والتفاعل بين الرجال والنساء**.ومن أبرز ما يُميز المجتمع الطارقي عن غيره من المجتمعات البدوية،هو **الاختلاط بين الجنسين في المناسبات الاجتماعية** .

فعندما يبلغ الشاب الطارقي **سن البلوغ** ،يُسمح له بالمشاركة في **حفلات اللقاء أو المحادثة** ، حيث يختلط الرجال بالنساء في أجواء تتخللها **الموسيقى**،**الغناء** ،**والرقص**،وهي ممارسة نادرة في البيئات البدوية الأخرى كما أن للطوارق **خصوصيات سلوكية راسخة** أصبحت جزءًا لا يتجزأ من **ثقافتهم اليومية** ،وتحولت مع الزمن من مجرد أفكار أو ممارسات إلى **أسس ثابتة** لا يُمكن المساس بها أو تجاوزها .

اولا :اللباس التقليدي التارقي

يعد اللباس أحد أبرز مظاهر الهوية الثقافية لدى الشعوب ،حيث يعبر عن البيئة التي يعيش فيها الإنسان ،بالنسبة للتوارق فإن اللباس لايقتصر على كونه وسيلة للستر أو الحماية من المناخ الصحراوي القاسي،بل يحمل أبعادا رمزية وإجتماعية ،ويعتبر جزء لا يتجزأ من الشخصية التارقية.و قد تفرد الإنسان التارقي بهذا المتطلب في شكله و لونه و طريقة لبسه،الأمرالذي جعله يستحوذ على إعجاب الجميع ،لأنهم وفي الغالب يميلون في اختياراهم لألوان، إلى اللون الّترابي القريب من البيئة التي يسكنون بها

،كالبِني الفاتح الذي يرمز لرمال الصحراء ،و الأزرق السماوي الذي يرمز للسماء والسكينة والهدوء ،فالإنسان التارقي اختار أن يمثل الصحراء بزيه و يعّبر عنها تعبَيرا رمزيا يعكس حبه و درايته بالبيئة المحيطة به.[1]

وفيما يلي عرض لأهم ملامح هذا الباس :

1-1لباس الرجل التارقي

يتكون اللباس الرجال من :

أ- اللثام :

لقد درج المؤرخون والرحالة العرب القدامى على تسمية الطوارق بالملثمين حيث إتخذوه شعارا لهم[2] ،والسبب الأساسي في ذلك هو محافظتهم الشديدة على هذه العادة منذ فجر التاريخ حيث يغطي الرجل رأسه بعمامة من القماش أسود فالغالب يلفها حول رأسه بإحكام عدة لفات حتى لا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه ليرى بهما.يسمى اللثام في لغة التماهاك التي يتحدثها الطوارق "**التاجلموست** "وهو عبارة عن قطعة من القماش الأزرق اللامع عند النبلاء ،أو الأبيض عند الأتباع .[3]

وتقول الرواية التي تشبه الأسطورة أن سبب ذلك إن الطوارق هاجمهم العدو في أحد مخيماتهم ذات مرة و انهزم الرجال ولكن النساء لبس العمائم وملابس الرجال وضيق اللثام و ممطين ظهور المهاري

[1] فيروز بن رمضان :العادات وتقاليد لدى طوارق الجنوب الجزائري الكبير ،مجلة قيس للدراسات الانسانية و الاجتماعية ،المجلد 06،،العدد01 ،ماي 2022 ص 517.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقية(1038-1121م)**،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1988،ط1،ص29.

[3] خليفي عبد القادر : المرجع السابق ، ص 248.

وطاردن العدو الذي هاله كثرتهن فترك لهن الأموال وفر هاربا ،ومنذ ذلك التاريخ بدا الرجال يتلثمون لتغطية وجوههم من عار الهزيمة ، والنساء يكشفن عن وجوههن اعتزازا بالنصر الذي حققناه

وقد ذكر ابن عذارى: **وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ولذلك سموهم بالملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد وتفعله الخواص منهم فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم** [1].

أما عن اللثام فيرى هنري دوفيرييه :أن الأسياد يضعون اللثام الأسود تمييزا لهم عن الأتباع الذين يرتدون الابيض ويدعو أيضا إلى التساؤل : لماذا لا ترتديه المرأة إذا كان يحمي الفم و الانف من المؤثرات الخارجية؟ [2]

كما يستعملونه ليحولوا دون خرافة إتصال الأرواح الشريرة بنفوسهم عن طريق الفم و الأنف ،فالرجل يلبس اللثام ابتداء من سن البلوغ ،ولو كان يمنع دخول الارواح ،فلماذ يلبسونه عند سن البلوغ ؟ولو كان يمنع لألبسوه للأطفال ،كما أن النساء لا يلبسن اللثام ،فكيف تقي النساء نفسها اذن هذه الاراء ضعيفة ،أو معتقدات خرافية لدى الطوارق . [3]

[1] محمد سعيد القشاط: المرجع السابق ص89.

[2] أمال الهاشمي : المرجع السابق ،ص 101.

[3] إياد يونس عربيي وعفراء عطا عبد الكريم: المرجع السابق ،ص 25 .

من فوائده قيل يمنع مشاهدة المناظر غير اللائقة ويمنع اللسع واللدغ،كما يتخذ كفًنا إذا مات صاحبه في الصحراء،فضلا عن كونه رمًزا لألفة والسيادة ،كما يستخدم للتحلي بالوقار والمهابة،كما استخدم اللثام لسهولة التخفي أثناء الحروب.[1]

ب – **أَكربي (سروال)** :

بلونُين أبيض و أسود ويكون فضفاضا ضيق عند الساقُين ،يحوي مزلاقا على مستوى الخصر ، يساعد على شده بواسطة حزام من الجلد مظفر يسمى"تامنلت " (تامنلت نكربي) ،كما يرفق بزي الرجل حافظة من الجلد ، توضع تحت اللباس ،ويحتفظ فيها بالأشياء الخاصة ،تدنى" التابوك " أو " تغالبت" وهي حافضة مصنوعة من الجلد مزخرفة بأصباغ خضراء و حمراء تعلق على الصدر.

ج– **إرسوي (العباءة او الدراعة او الضراعة)** :

تصنع عادة من قماش يسمى"الخنت"أو"الطاري"،أو من قماش أبيض يدنى"مصمودي"،وتكون هذه العباءة فضفاضة حول الجانبين،وتحتوي على جيب كبير يخاط على الجهة اليسرى من الصدر.

د– تاقلموست نكوري :

[1] - نفسه ،ص 2 .

وهي عباءة مشابهة تماما لـ"إرسوي"،غيرأنها تصنع من قماش ينسج في دول الساحل الإفريقي، وبالضبط في نيجَيريا قرب بلدة كانوا ،ويتشكل هذا الثوب من شرائط صغيرة بعرض سنتمتر واحد ،ويلبس عادة أيام الأفراح و يوضع على الكتفُين.

هـ– تكوار ت :

وهو عبارة عن قطعة قماش من **ألاشو** توضع فوق **أرسوي** الأبيض في المناسبات.

و – الراقي:

هي عباءة مصنوعة من خامة كتانية راقية،وتحتوي على جيب في جهة اليمين ،ومطرزة في جهة اليسار بطرز هندسي مزخرف،وبألوان متنوعة منها :الأبيض و الأحمر و الأخضر،والأسود والبني على شكل شرائط ،يلبسها ملوك والأغنياء،كما تلبس في الأعراس والمناسبات.وهذا النوع من اللباس نادر جدا إلا ما كان متوارثا عن الأجداد.

ي –أحذية الرجل التارقي :

- تفورق : (اغتمن) وهو عبارة عن حذاء من الجلد ،يلبس في حالة السفر و يغطي الرجل بأكمله . –
- إمركدن : و هو نوع من الأحذية ،الجزء السفلي منه مصنوع من الجلد ،أما العلوي فهو عن عبارة شرائط جلدية تثبت بها الرجل.

- تمبه : وهي نعال بيضاء اللون مزخرفة تلبس في المناسبات و الأعياد تخص الرجل و مرأة على السواد.[1]

1-2لباس الاطفال :

يستمر اطفال الطوارق في غالب الاحيان بدون لباس حتى السابعة إلى الثامنة من عمره .[2]

كما يتنوع اللباس حسب الجنس والسن ،ففي سن الطفولة سواء للبنت او الولد ،يلبس لباس خاص بتلك الفَترة ،اما في مرحلة الشباب عند كل الجنسين ،فيلبس لباس خاص بفَترة البلوغ ، فأطفال الطوارق يلبسون لباسا يتكون من قميص واسع الطرفُين ،تشبه القطعة من القماش التي تكون مشقوقة في الوسط ومربوطة من الجانبين ،حيث يدخل الولد رأسه في الشق ويخرج يديه من الجانبين الواسعُين ،وعندما يبلغ الشاب سن البلوغ ، يلبسونه نمامة في حفل بهيج ،ويسَّتر وجهه بلثام كما يفعل الرجال الكبار ،و يلبس قميصا واسعا يسمى ب "الدراعة"، مطرزة الجيب ، وأحيانا يلبس أكثر من قميص ،يكون أحدهما أزرق مغمس بالنيلة التي تَترك أثرا على جسم الإنسان ، كما يلبس عمامتُين أحدهما زرقاء و الأخرى بيضاء ،و يلبس سروال فضفاضا يتدلى حجره إلى الركبتُين،و مداسا في قدميه مصنوع من جلد البعَير ،ويتحلى في الأغلب بخنجر أو سيف ينجر على الرمل ،و يتفننون في تزيُين مقابض سيوفهم و أغشيتها،وقد يرصع مقبض السيف بالفضة و الذهب و الأحجار الكريمة ، وتنحت عليه أسماء مالكيه. [3]

---

[1]- نفسه ،ص 520.

[2]- محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ، ص 78.

[3]-نفسه ، ص 79.

1-3لباس المراة التارقية

تناول العديد من الكُتّاب الفرنسيين صورة المرأة الطارقية في كتاباتهم سواءا كانوا رحالة مثل هنري دوفيري او عسكريين مثل ضابط ديماس ،وغلب على هذه الكتابات وصف الملامح الفيزيولوجية للمرأة التارقية ،وفي المجمل حضيت بالإشادة بجمالها ورشاقتها وصف "ايمار" المرأة الطارقية بأنها جميلة ، طويلة القامة ، وجسم نحيف ،ذات أجسام بيضاء ،وذات ملامح متناسقة ،وعيون كبيرة سوداء .[1]

أما "دوماس" فقد وصفها بأنها رقيقة ،ذات وجه جميل وأنف مستقيم ،وفم صغير و أسنان جميلة ،وشعر أسود لامع يتجمع في شكل ضفائر تسقط على الكتفين يضفي على مظهرها طابعًا غامضًا وجاذبًا. وأن هن ذوات بشرة بيضاء كبشرة المسيحيات ،بعضهن يمتلكن عيونًا زرقاء ،وهو نوع من الجمال يحظى بإعجاب كبير داخل القبيلة ؛جميعهن مثيرات جدًا وسهلات التعامل.[2]

المرأة التارقية هي امرأة سمراء اللون ،طويلة الرقبة ،مستقيمة الانف ، ذات أسنان بيضاء، وبشرتها بيضاء ،أما قامتها فمتوسطة ،أهم ما يميزها أنها لا تضع الوشم كالمرأة العربية أو البربرية ،بل تطلي جسدها بالصباغة الحمراء أو الصفراء ،وكلما ترتدي لباسا أزرقا نيليا يصبغ ذراعيها ويديها .[3]

يتكون لباس المرأة من :

---

[1] Aymard Capitaine (1911**), les Touareg**, ouvrage illusré de 44 Gravures Tirées Hors texte et d'une carte en noire, librairie Hachette et Cie , Paris.p88.

[2], Daumas Le Général(1853**) Moeurs et coutumes de l'Algerie Tell, Kabylie** ، Paris،Hachette et cie Sahara, librairie p364.

[3] – أمال الهاشمي : المرجع السابق ، ص 91.

- **أرسوي** :عباءة واسعة وفضفاضة ذات أكمام قصيرة وعريضة ،تُصنع من أقمشة متنوعة مثل الزيبق ، الخنت ، الحرير ، التبركات ، والصوف.تُلبس فوق فستان مصنوع من قماش يُعرف بالشلاكي ،وكانت تُعد من لباس الطبقة النبيلة .
- **أخباي**:عباءة واسعة تُصنع بألوان مختلفة مثل الأزرق ،الأخضر ،وأحيانًا الأبيض.يبلغ عرضها نحو 7.74سم وطولها حوالي 1.04 سم،وتُفصّل عبر تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء تُجمع بخيوط دقيقة. وتُخصَّص هذه العباءة للمرأة المتزوجة فقط .
- **تسغنست** :وهو عبارة عن قطعة قماش كبيرة غالية الثمن يصل طولها الى 15 متر ،تلفها المرأة حول نفسها ،أو جسدها بالكامل ،بما في ذلك الرأس ،تلبس في المناسبات والأعياد ،أما في سائر الأيام فتؤخذ من أقمشة عادية معقولة السعر ،وهو اللباس الأشهر و الاكثر ظهورا عند نساء الطوارق .
- **أفر** :وهو عبارة عن قماش أقل من تسغنست ،يوضع فوق ارسوي ،يغطي الرأس وجزء من الجسم ،أسود اللون في الغالب ،وتتغير خامة القماش حسب المناسبات كالطاري الذي يلبس في الاعياد والمناسبات الخاصة .
- **أغرهي**:وهي عبارة عن قطعة قماش يتراوح طولها المترين،مصنوعة من النيلة أو الطاري، وتلبس فوق الرأس في الإحتفالات او الأعياد .
- **تشريبت** :وهي الوشاح(المنديل)الذي يلبس في سائر الأيام ويكون مصنوعا من قماش يسمى الترفال أو الشلاكي .

- **الحولي**:وهو قطعة من قماش الكاري مطرز في الظهر.
- **بازان**:وهو عبارة عن عباءة طويلة وضيقة مطرزة في الرقبة والصدر واليدين والرجلين ،مصنوعة من قماش يسمى الديمي وتلبس معها خراطة طويلة مصنوعة من قماش النيلة ،وهو متوفر في جميع الالوان.[1]

كما وصفها الجنرال ديماس:زيّهن يتكون من سروال من قماش أسود، وفستان واسع من نفس القماش ونفس اللون ،ونوع من غطاء الرأس لم نستطع وصفه بدقة. الأغنى منهن يتزيّن بالحلي،أما الباقيات فزينتهن الوحيدة هي الأساور المصنوعة من قرون الحيوانات على الساعدين.الرجال والنساء يضعون حول أعناقهم قلائد من التمائم.[2]

1-4زينة المراة التارقية

المرأة الصحراويةوخاصة الطارقية لها خصوصية مميزة في أساليب التجميل والتزيين ، ختلف بها عن باقي النساء العربيات،وتجعلها رمزاً للأصالة والجمال في ثقافتها.

فكما أن الزينة عنصر أساسي في حياة المرأة البدوية فإن المرأة الطارقية تتفنن في استخدام أدوات التجميل التقليدية ،ليس فقط لتحسين مظهرها ،بل أيضاً كوسيلة للتعبير عن انتمائها القبلي. ومن أشهر هذه الأدوات ،ما يُعرف بـ"الوشم" أو الزينة المصنوعة من عجينة تتكوّن من رماد أوراق نباتات عطرية سوداء اللون،تُخلط أحياناً بقشور الباذنجان المحروق .

[1] فيروز بن رمضان: المرجع السابق ،ص14.

[2] Daumas :Op,Cit, p 364.

كما تُصوَّر المرأة الطارقية في بعض الكتابات الفرنسية على أنها تمتلك هوسًا مبالغًا فيه بتزيين وجهها وصبغه وتقوم المرأة بوضع هذه العجينة على وجهها وأجزاء من جسمها ،فتترك لوناً أحمر مميزاً يدوم لفترة طويلة ، يُعتبر من علامات الجمال والقوة عند نساء الطوارق .

للتوارق ذوق في لبس الحلي والذهب والفضة ،حيث نجدها غاية في التناسق والجمال والدقة في الصنع ورغم أنهم يعيشون ظروف مادية صعبة فإن المرأة لا يهدأ لها بال،إلا بالتزيين به في صدرها وجبهتيها وأذنيها بعدد كبير من القلائد والحلقات والخواتم المرصعة بأحجار الزمرد إضافة إلى الدمالج والأساور المزينة بحروف التيفيناغ تحمل كلمات تدل على العهد الاخلاص.[1]

ثانيا : المناسبات والعادات الطارقية

2-1المناسبات:

أ- **الاحتفال بالاعياد الدينية :**

يحتفل الطوارق كغيرهم من المسلمين **بعيدي الفطر والأضحى**،حيث يتجمعون أمام المسجد في انتظار **الإمام لإلقاء خطبته** التي تركز عادة على **الوعظ والإرشاد** وبعد أداء الصلاة ،يُنظم **سباق للخيول** يشارك فيه الشباب،كما تُقام **مهرجانات موسيقية** تُعزف فيها الطبول وتُؤدى الأغاني والرقصات ،وتحضرها النساء والأطفال والشباب في جو احتفالي مميز .

[1]واجي بوجمعة :دراسة ديمغرافية وسوسيو اقتصادية للمجتمع التارقي –دراسة حالة حي المستقبل ادرار ، اطروحة دكتوراه كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران 2020-2021 ص 129.

كما يحتفل الطوارق ب**يوم عاشوراء**،حيث يُعد الطعام ويوزّع على الضيوف ،وتُتلى **آيات من القرآن الكريم** ، و**المدائح النبوية** ،وتُستذكر **سيرة النبي محمد** ﷺ. ويستغل الطوارق هذا اليوم لإحياء **عادات قديمة** ،من أبرزها **الاحتفاظ بعظام الأضاحي** منذ عيد الأضحى وكسرها في يوم عاشوراء وإضافتها إلى الطعام ،رغم أن السبب وراء هذه العادة غير معروف لديهم ويُخصص الطوارق احتفالًا كبيرًا ل**المولد النبوي الشريف** ،حيث تُقام حفلات دينية يتصدرها **مشايخ الطرق الصوفية** ،وخاصة الطرق المنتشرة في الصحراء مثل **القادرية، التيجانية، الخلوتية، الختمية، والميرغنية** ومن الطقوس المتأصلة أيضًا لديهم ،إقامة **حفلات ترفيهية للمرضى الذين عجز الطب عن علاجهم** ، إذ يُعتقد أنهم **مصابون بمسّ من الجن** ،فيلجأ الطوارق إلى **الموسيقى والغناء والرقص** كوسيلة **لطرد الأرواح الشريرة** في طقوس روحانية فريدة[1] .

دينهم الإسلام لكنهم لا يُصلّون ،لا يصومون، ولا يؤدون الوضوء. لا يذبحون الحيوانات كما تأمر الشريعة، بل يقطعون رؤوسها ببساطة بضربة سيف. وفي أيام الأعياد الكبرى الإسلامية ،بدلًا من الصلاة ،يستمتعون بمعارك وهمية وتدريبات على حروب صغيرة يطبقونها عند أول فرصة. بإختصار،لا يملكون من الإسلام سوى الإسم ،ومن الصعب أن يكون الأمر غير ذلك في وسط حياة

[1]– محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 103

لا تتوقف عن التنقل والحركة[1] .يعكس نظرة إستشراقية سطحية ومتحيزة عن المجتمعات الإسلامية وخاصة مجتمع الطوارق.

ب- الاحتفالات الشعبية

تجتمع الطوارق في شهر الخريف (أغسطس- سبتمبر) حول الآبار المالحة ويقومون بالمهرجانات والمسابقات على المهاري وحفلات الرقص والموسيقى والمبارزات بالسيف والرمح والجري كما تقدم عروض لعبة(الكرة)بين المنتجعات وهي كرة صغيرة يضربها والمصارعة الألعاب بالعصا وتتبارى النسوة يسمينها (الكري) وتنقسم الى مجموعتين كل مجموعة من حي والمجموعة التي توصل الكرة إلى المنافس تعتبر منتصرة. وهي حفلة تخص الشباب من الجنسين حيث تعقد الشابات في صف والشباب في الصف المقابل وتقوم النساء بالغناء والرجال بالمصارعة وهناك رقصة خاصة تسمى زيغ .

- **أكراش**:لعبة تشبه السباق يقومون بها في فصل الخريف وهي أن تذهب مجموعة من الشباب من أحد الأحياء إلى حي آخر من منطقة أخرى ويطلبون منهم أن يعطوهم أكراش وهو غطاء رأس أجمل امرأة في ذلك المنتجع وعندما يناولونهم إياه ينطلقون بأقصى سرعة إلى مجتمعهم وقد يتبادلونه بينهم بحيث دائما يكون في يد الأسرع و أصحاب المخيم الذي أخذ منهم يطاردونهم مسرعين أيضا إذا ما لحقوا بهم يرجعونه منهم و اذا لم يستطيعوا لحق بهم يعتبر عار عليهم .[2]

[1]- Daumas: Le Général p364 .

[2] – محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ،ص 104.

2-2 عادات الطوارق

2-2-1عادات الزواج عند الطوارق :

يُعد الزواج الوسيلة الأساسية لتكوين أسرة مترابطة تُشكّل أساس المجتمع الصالح.كما يغرس في الزوجين روح **المسؤولية،ويدفعهما نحو التعاون والمودة.ومن خلال الزواج** تتسع دائرة العلاقات الجتماعية ،وتزداد الروابط قوةً ومتانة .ولا يتم الزواج عند الطوارق في سن مبكر لأسباب عديدة منها ميلهم للحياة الماجنة وإندفاعهم نحوها و إدمانهم على السهرات الأهال والسمر والغناء بهذا نجد ان الفتاة تتزوج في سن العشرين والرجل يتزوج في سن يتراوح ما بين 25و30 سنة .لا يُبرم عقد الزواج إلا عند **البلوغ الحقيقي** ،إذ لا يُزوّج الطوارق الأطفال غير البالغين كما يفعل بعض العرب ، حيث يُزوَّج الأطفال دون أن يعيشوا معًا إلا بعد فترة.في العادة لا يتزوج **الرجل** قبل سن **28 أو 30 سنة،** ولا تتزوج **المرأة** قبل سن . **18 أو 20 سنة.**[1]

ويقترن الرجل بزوجة واحدة عالية النسب،ويكتفي بالمحافظة عليها،خاصة وأن الفقر وتدني المستوى المعيشي يجعل الطارقي لا يفكر في التعدد.وإحتراما لمشاعر المرأة فهي التي تختار شريك حياتها بإذن والدها ، الذي لا يعارض إختيار ابنته للزوج الذي ترغب فيه إلا اذا كان لا يشرف العائلة ،خاصة وإن كان كانت من الفئات النبيلة. [2]

[1] H.Bissuel : Ie Sahara Fran cais p166.

[2] أمال الهاشمي :المرجع السابق ص 96.

يُقدَّم طلب الزواج إلى **والد الفتاة** عن طريق **مرابط** (رجل دين) أو **رجل له مكانة محترمة**، سواء كان صديقًا للعائلتين أو لا.

أ– الخطبة :

الخطبة عند الطوارق هي وعد بالزواج يتم وفق العادات المتوارثة لدى غالبية المسلمين ،حيث يُقام اللقاء بحضور ولي الزوج وولي الزوجة ،إلى جانب جمع من الأقارب وشاهدين عدلين .يجتمع الجميع في خيمة أهل العروس،ويتبادلون الحوارحول تحديد المهر وتاريخ الزواج.وعند الإتفاق بين العائلتين تُقرأ الفاتحةوتُرفع الأيادي بالدعاء للزوجين بالبركة،وسط زغاريد النساء إعلانًا عن إتمام الخطبة بعدها ،يُقدم التمر والحليب كرمز لتعزيز أواصر المحبة بين العائلتين [1].

لقوله تعالى:﴿من آياته إن خلقا لكم من انفسكم أزواج لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾.[2][الروم 21]

ب– **المهر**:

يُحدد المهر عند الطوارق بحسب قدرة العائلة وانتمائها القبلي؛فإذا كانت العروس من قبيلة النبلاء ، يُطلب لها مهرٌ قدره سبع نياق.أما إن كانت من الموالي أو العبيد ،فيقتصر المهر على اثنتين من الماعز. وتختلف هذه التقاليد بين السّلطنات،فبعضها يطلب مهورًا أعلى وبعضها أقل.ومع مرور الزمن ، أصبح

[1] نفسه ص 97.

[2] سورة الروم ،الاية 21.

المهر رمزيًا يُدفع مؤجلًا ،وقد لا يُدفع كاملًا،خاصة في حالة النياق السبع ،حيث تُدفع ناقة واحدة أو أكثر،ويُذكر المتبقي في عقد الزواج كالتزام مستقبلي .[1]

ويقدم العريس **مهرًا** يُحدد **حده الأدنى** وفقًا للعادات الخاصة بكل قبيلة.ففي **منطقة الأهنت** ،الحد الأدنى هو **ستة جمال** ،**جارية** (**امرأة سوداء**)، **ولباس كامل** وبحسب قدرته المادية ،يمكن للعريس أن **يزيد** على هذا الحد الأدنى الذي يحدده "العرف"(الأدا)،بإضافة قطعان ، أقمشة ، حُلي ،وغيرها .ويُسلَّم كل ذلك في **يوم الزواج نفسه** إلى **والد أو والدة العروس** .

ويُعقد الزواج إما أمام **العالم** (**أَلِم**)،في القبائل التي يوجد فيها هذا القاضي ،أو في غيابه أمام **ثلاثة من أعيان القبيلة** على الأقل .[2]

ج–مراسم الزواج:

من الخصوصيات الهامة في مراسيم الزواج لدى الطوارق أن لا يدخل الزوج على زوجته إلا بعد اتمام النهر و تسليمه كاملا لأسرة العروس إلى جانب المهر،تطالب أم العروس بهدية خاصة تعرف بإسم "تاغتست" ،وهي عادة متوارثة ضمن مراسم الزواج.عادةً ما تكون هدية"تاغتست"عبارة عن ثور أو جمل ،وتُقدم ضمن جهاز العروس.وتقام بهذه المناسبة إحتفالية خاصة حيث تجتمع النساء في مخيم

[1] نكرا حنان ،حمو علي مباركة :المرجع السابق ص 11

[2] -H.Bissuel :Ie Sahara Francais ,p166.

لتهنئة أم العروس بخطبة ابنتها ،ويتحلّقن حول"التندي"،وهو جلد مشدود فوق هاون يشبه آلة الدربوكة المعروفة في شمال أفريقيا ،ويُستخدم لإضفاء جو من الفرح والإحتفال .

تبقى الفتاة الطارقية التي تتزوج لأول مرة تحت رعاية والدتها لمدة عام كامل ،حيث تتلقى منها أساسيات القيم والعادات الخاصة بتكوين الأسرة وحسن معاملة الزوج.خلال هذه الفترة،يقيم الزوج بالقرب من أهل زوجته ،بينما تظل الزوجة مع أسرتها حتى تضع مولودها الأول.عندها يُخيّر الزوج بين البقاء مع أصهاره أو العودة إلى أهله .

وغالبًا ما يتم الزواج داخل العشيرة التي تنتمي إليها الأم ،ويكون الانتماء الاجتماعي والوراثي للطفل من جهة والدته.يعيش أطفال الطوارق في كنف عشيرة الأب والأم التي اختاراها،ويظلون مرتبطين بها دائمًا .

أما المرأة الطارقيةإذاأصبحت أرملة وكانت أمًا لأطفال،فإن هؤلاء الأطفال يعيشون تحت وصاية خالهم ،إذ يُعتبر أولى برعايتهم من أعمامهم.وعندما يتزوج أحد الأبناء،تنتقل والدته للعيش معه ومع إخوانه.[1]

د–الولادات :

عندما يقترب موعد وضع المرأة حملها تذهب إلى خيمة والديها،فتضع الطفل فوق كومة من الرمل، تساعدها في وضعه المر أة مختصة في توليد النساء التارقيات،أما عند قبيلة داق غالي فالمرأة بمجرد شعورها

[1] بشي ابراهيم :المرجع السابق ، ص172 .

بألم الوضع تلجأ إلى مكان بعيد خارج المخيم الذي تقيم فيه ،فتضع طفلها،ثم تعود إلى عائلتها حاملة رضيعها بين أليديها.وإذا ما خرج الرضيع من بطن أمه يغسل بالماء الدافئ أو الساخن ،ويلف في قطعة قماش،وإن شعرت والدته بالغثيان ،يقدم للرضيع الحليب باستعمال أنبوب يشبه منقار العصفور ،حتى يسهل على الرضيع إمتصاصه ،أو يقدم له تمر مع قليل من الماء.[1]

عندما يُرزق الرجل بمولود ذكر ،يستقبله بفرح كبير لأنه يُعتبر دعامة جديدة لقوة القبيلة يذبح الوالد شاة ويُرسلها لزوجته التي في فترة النفاس تعبيراً عن الفرح والإمتنان ،وحين عودته إلى زوجته يقدم لها هدايا مختلفة مثل نعل أو عقد أو وشاح ،تقديرا لها باعتبارها أصبحت أما ،ويتمتع الوالدان بتهنئة أفراد القبيلة.

أما إذا وضعت طفلة فيهنئها النسوة فقط اللائي يطلين أسفل أعينهن ومحيط شفاههن بالصباغة الصفراء والسوداء ،وذلك لإبعاد الجن عن خيمة الرضيع وحينما يبلغ أسبوع تعود به الأم إلي خيمة الزوج ليرى أبنه في المرة الأولى.[2]

هـ- تسمية المولود :

يشير الأنثروبولوجي الفرنسي هنري لوت (H. Lhote) أن عادات الطوارق في تسمية الأطفال تشبه إلى حد كبير تقاليد الهنود الحمر،حيث يُربط اسم المولودغالبًا بالظواهر الطبيعية أو الحوادث التي

[1]أمال هاشمي : المرجع السابق ، ص 98.

[2]- واجي بوجمعة : المرجع السابق ، ص 121-122.

تصادف ولادته.فمثلاً "تيديجريس"فإذا صادف ميلاد طفلة سقوط البرد فإنها تسمى أي، و إن مر حيوان في لحظة الميلاد فان الطفلة تدعى بإسمه مثل تاهينكات ،أي الغزال أو أنابة أي النمر ،أو أكوتي أي جربوع،الى غير ذلك من الأسماء التي كانت منتشرة بشكل واضح في الثقافة التقليدية للطوارق.[1]

لكن ومع تأثر المجتمع الطارقي بالثقافة العربية الإسلامية ،بدأ استخدام الأسماء العربية يزداد،خاصة عند مجموعة انسلمن مثل أسماء الانبياء والرسل والصحابة والأولياء وأصحاب الطرق الصوفية.

كما يسمي النبلاءأسماء عربية محرفة نتيجة لعدم قدرتهم على النطق الصحيح بالعربية مثل مخمد ،اسماغيل ،الخورير (الخضر) ،وفطميتا (فاطمة) ،وغيشيتو (عائشة).ويسمونهم بأسماء العبيد مشهورين في الإسلام مثل بلال ،توبان. [2]

و- تعدد الزوجات والطلاق :

إن الرجل الطارقي لا يحق له الزواج أكثر من امرأة واحدة أغلب الطوارق يجمعون في عصمة الرجل الواحد وإذ أراد أن يتزوج فيطلق الأولى ولكن الآن بعضهم يتزوج أكثر من امرأة واحدة ولكن قليلة جدا.

[1]- خليفي عبد القادر ، مرجع سابق، ص 12.

[2]- محمد سعيد القشاط :المرجع السابق ،ص 99.

تعدد الزوجات ليس شائعًا في مجتمع الطوارق،حيث يندر أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة.وإذا أصيبت الزوجة بمرض مزمن أو عقم،يكون أمام الزوج خياران:إما أن يبقى معها وفيًّا لها،أو أن يطلقها.ومن غير اللائق بحسب أعراف الطوارق أن يحتفظ الرجل بزوجته ويتزوج بأخرى في نفس الوقت.فالمرأة الطارقية ترفض الارتباط برجل متزوج كما أن الزوجة لا تستمر في العيش مع زوجها إذا علمت بأنه يحب امرأة أخرى.

والطلاق هو فك الرابطة الزوجية في حالة استحالة العشرة بين الزوجين وبعد عجز كل طرق الصلح لإرجاع الثقة والمودة بين الطرفين.ونادرا ما يحدث الطلاق عند الطوارق ،اذ يعتبرونه ابغض الحلال عند الله[1] ،لقوله تعالى: ﴿ الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان﴾. [سورة البقرة229] [2]

إذا أرادت المرأة الطوارقية الطلاق ولم تعد تحتمل العيش مع زوجها ،فإنها تغادر إلى بيت أهلها ، وتُرسل له رسالة عبر رجل موثوق تقول فيها" :**أنا هاربة منك**" فيرد الزوج بطقوس معروفة ؛يذبح جملاً أو ثوراً تكريماً لها، وتُقام مراسم الطلاق ،ثم تنتظر انتهاء عدتها ،وبعدها يمكنها الزواج مجددًا .

أما إذا كانت أرملة،فبعد انقضاء عدتها،تذهب إلى خيمة أحد العلماء وتقول له: "**أنا هاربة إليك وأطلب منك أن تكتب لي حجابًا يحفظني من شر الإنس والجن.**" حينها يفهم العالم أنها بلا سند

[1]– امال الهاشمي : المرجع السابق ، ص 106.

[2]–سورة البقرة : الاية 229.

ويقوم بحمايتها حتى تجد من تتزوجه، خاصة إن لم يكن لها أهل يعيلونها .[1] يطلق الرجل زوجته في الحالات التالية:

- في حالة الخيانة والعقم
- عدم اهتمام المرأة بالرجل.
- عند عدم دفع الزوج للمهر كاملا .
- عند إساءة الرجل للمرأة .
- في حالة عدم رضى المرأة الزوج في الأساس[2].

2_2_2عادات اتجاه الموت والقبور:

تتباين نظرة الطبقات الإجتماعية لدى التوارق إلى الموت وطريقة التعامل معه ،فعند الطبقات المتشبثة بالعادات الجاهلية يتخلى أهل المريض عنه في مرحلة الإحتضار والإشراف على الموت ،فيوكلون أمره الى صحابهم من الجماعات الإسلامية(انسلمن) .

أما مراسيم الوفاة في المجتمع الطارقي فتقام على الطريقة الإسلامية،يتم تغسيله وتكفينه والصلاة عليه و التوارق بصفة عامة ليست لهم مقابر جماعية و إنما يدفنون موتاهم حيث توفوا بالصحراء ،ولا يتحمسون لزيارة القبور .

[1]– محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ، ص 101.

[2]– تكرا حنان بن حمو مباركة :المرجع السابق ، ص 12.

كما لا توجد طقوس ثابتة او موحدة للعزاء ،كما هو الحال في بعض القبائل العربية ،من العادات المتبعة في التعزية أيضا عدم ذكر اسم الميت صراحة ،بل يشار اليه بلقي أو كنية خاصة إذا كان مشهورا .

ينتشر بين الناس العديد من الخرافات المتعلقة بالجن ويعتقدون أنه يسكن بالمقابر ،و أخرون يزعمون أنهم شاهدوا مخلوقات غريبة فوق أحد القبور،ويقولون أنها كانت تتحدث أو تصدر أصواتا ،ما يزيد من إنتشار الأساطير التي تحيط بالصحراء .[1]

2-2-3عادات الطعام :

يعد الطوراق من بين الشعوب الأقل حظا في ما يتعلق بالموارد الغذائية ،فبإستثناء عصيدة تدعى، فإن طعامهم الأساسي شحيح جدا .وغالبا ما يقتصر على ما يمكن شراؤه من الأسواق بأقل الأسعار وبكميات ضئيلة لا تكفي إلا لسد الرمق.

رغم ذلك فإن الطوراق يتحملون الجوع والعطش بشكل مذهل،يعرف عنهم القدرة على السفر لأيام دون طعام ولا ماء ،حيث يساعدهم في ذلك ربط بطونهم بأحزمة جلدية للتخفيف من الإحساس بالجوع .وأثناء سفره يتناول وجبة واحدة يطلق عليها ازبرغ ،و أكثر ما يستعمل في غذائهم هو البشنة وميل والأكلة المشهورة عندهم هي دقيق البشنة يطهى بالماء ،ويسقى بالزبدة [2]

[1] محمد سعيد القشاط : المرجع السابق ص 101- 102

[2] Henri Duveyrier : op.cit p 408 .

أما **الخبز** فهو عبارة عن دقيق الحبوب يعجن بالماء ويطهى داخل الرماد الساخن،يضاف إليه تمر منزوع النواة مع بعض الماء والحليب .[1]

الكسكس :فلا يهتم الطوارق بتحضيره ،فهو مشهور عند الأسياد والنبلاء ،نظرا لإرتباطهم الوثيق بالعرب .[2]

الزبدة والجبن:الطوارق من أكثر مستهلكي الزبدة والجبن،لهذا يهتمون بصنعة وتخزينه لمدة طويلة ،ويقتاتون عليه في فترات الجفاف خاصة .

التمر :يقتنى من عين صالح و تدكلت بثمن غال ،لأن عدد الواحات قليل ،محدود بالمناطق التالية :سيلات،ابلسه و ادلس ،ولذلك يضطر الطوارق إلى مقايضة الجمال والزبدة والجبن بالتمر ،الذي يستهلكونه بطرق عدة منها:يطحن كالدقيق ويسقى بالحليب ويعجن على شكل كويرات يصطحبونها معهم في الاسفار.

الارز : لا يتناوله إلا الأغنياء ،ويطهى على شكل حساء،من مشتريات القوافل ويقتنى من السودان.[3]

[1] امال هاشمي :المرجع السابق ،ص157.

[2] Henri Duveyrier : op.cit p .409

[3]– امال هاشمي :المرجع السابق ،ص 158.

الخضر والفواكه :وفي بعض المرات يحضرون مرقا يحتوي على طماطم البصل وفلفل أحمر القرع ،و يأكلون أنواعا من الفواكه منها المشمش و العنب والتين المجفف .

النباتات البرية :يضطر الطوارق إلى الإنتقال من مخيم إلى أخر،حيث يلجؤون بقطعانهم إلى أماكن بعيدة نحو الايير و ادرار ايفوغاس ،إذا اشتد عليهم الجوع والفقر إلزمتهم الضرورة بتناول النباتات البرية الجافة التي تطبخ على شكل حساء منها **تنكفايت**[1] والقطف والترفاس .

اللحوم:قليلا ما يتناول الطوارق اللحوم إلا في المناسبات،أو عند حضور الضيوف وأشهر وجبة يحضرونها باللحم هي بهرسة بالمهراس وتجفيفه في الشمس،يطهى داخل الفحم الساخن ويلقب بتلبدجت.يتناولوا كل أنواع لحوم الدواب.كالأبل والبقر .الا أن من السمات المميزة للطوارق أنهم يمتنعون عن أكل لحم الطيور وبيضها والأسماك فيعتبرونه محرم ومكروه . [2]

2-2-4عادات التداوي عند الطوارق

الأمراض و الأوبئة : رغم قسوة الحياة في الصحراء وشح الموارد ،تمكنت قبائل الطوارق من التأقلم مع الظروف البيئية القاسية ،وإبتكار طرق خاصة لمواجهة الأمراض المنتشرة في بيئتهم. ومن أبرز هذه الأمراض ومن ملامح ذلك مواجهة الأمراض التي تنتشر في البيئة الصحراوية على غرار أمراض العيون التي تتسبب فيها الرمال المتناثرة لعلى أشهرها مرض طرنة العيون الناتج عن الغبار المتناثر في البيئة

[1] . تنكفايت :تسمى بالعربية الحرة وهي عبارة عن حبوب يتناولها الطوارق في غذائهم ويستعملونها كدواء وعلاج جرب الجمال

[2] Henri Duveyrier - op.cit p410.

الصحراوية طوال فصل السنة إلى جانب أمراض التنفس الذي تتسبب فيه أيضا تناثر الغبار وارتفاع درجة الحرارة طوال أيام السنة ،كما تنتشر في الصحراء أمراض المفاصل نظرا لشدة البرودة ونقص التغذية ،ويتسبب الترحال لديهم القائم على ركوب الجمال والمشي لمسافات طويلة بحكم شساعة الصحراء في التعرض لمختلف الأمراض التي تصيب المثانة.

على أن هذه الكتابات تتفق على أن أسباب إنتشار الأمراض والأوبئة وسط القبائل التارقية يعود إلى قلة الماء وإهمال جانب النظافة .[1]

❖ **إستعمال النباتات للتداوي :**

يعتمد التوارق على النباتات الصحراوية في علاج أمراضهم،ومن أهم الأعشاب :

Periploca laevigata (**نبتة سلوف**) تخدم لعلاج اعراض الروماتيزم،نزلات البرد ،والسعال.

Faux-gommier (**شجرة ابسغ**)أوراقها ولحاؤها يستعمل لطرد الديدان وعلاج الأمراض الجلدية و العلكة المأخوذة من جذوعها تساعد في شفاء ولتضميد الجروح والحروق وتهدئة آلام المعدة .

(***Balanites egyptiaca*** **نبات تبوراق**) لثمار هذه الشجرة خصائص علاجية متعددة من بينها استخراج معجون دهني لعلاج التهاب الجيوب الأنفية وتحمي الوجه من أضرار البرد .

[1] Henri Duveyrier- op.cit- p43.

Tahart (**نبات تاهارث**) الفروع المغلية تعمل كمسهل معوي،كما يستخدم الحليب المستخرج منه يعالج الثالول وضع مباشرة فوق المنطقة المراد علاجها .[1]

(***Capparis spinosa*** **نبات تيلولوت**)الأوراق المطحونة تُستخدم في كمادات لعلاج الروماتيزم ،النقرس،وأمراض الكلى كما تعالج الشلل ،آلام الأسنان ،أمراض الكبد ،الطحال ،والسل . أما الأوراق المجففة فتُستخدم كفرك لعلاج الجرب في الإبل. .

Ziziphus lotuS **(نبتة تباهق) والمعروفة باسم النبق** جذورها تستخدم كعلاج طبيعي ضد لدغات الحيوانات السامة كما تُطحن وتُستخدم كمسحوق لتسريع شفاء الدمامل والجروح.

يبدو أن العديد من المصادر الكولونيالية القديمة قد لاحظت أهمية هذه النباتات العلاجية في حياة التوارق اليومية رصد عدد من الباحثين الكولونياليين مثل بول فيرمال ،هنري لوت ،وهنري دويفيريه العديد من الوصفات العلاجية التقليدية التي يستخدمها التوارق. قاموا بتشخيص نظري لمجموعة الأوبئة والأمراض المنتشرة بين القبائل الصحراوية ، مع تقديم وصفات وأساليب علاج محلية .

ذكر هنري دويفيريه أن المرأة التارقية حديثة الولادة كانت تُعطى وصفة مكونة من توابل مستخلصة من أعشاب محلية تُعرف باسم " إيمازرن ".

[1] Paul Vermale- Au Sahara Pendant A Guerre Européenne- Editions Jacques Gandini- Paris 1955- p260.

وأشار هنري لوت إلى عادة استخدام **جريد النخيل** لتنظيف بقايا الطعام بين الأسنان ،وهي عادة لا تزال منتشرة حتى اليوم بين سكان الصحراء . [1]

ب– استعمال الحيوانات لأغراض العلاجية

تستخدم قبائل التوارق بعض الحيوانات لإعداد وصفات علاجية لعدد من الأمراض،ومن أبرز هذه الحيوانات :

- (***إيشنكض* باللغة التارقية) الغزال** يستعمل في الطب التلقيدي تتمثل في تقديم لحمه لعلاج هشاشة العظام والروماتيزم ،وهومفيد أيضاً للمرضى الذين يعانون من **فقر الدم**. أما أمعاؤه ،فيتم تجفيفها ،طحنها ،وطبخها مع الحساء لعلاج مرضى **داء السكري** .
- **الاروي او الضأن البربري عرف محليا باسم(اوداد)** :لحمه المجفف يُستخدم لعلاج **الروماتيزم،البرد** ،وفقر الدم .قرونه تُوضع فوق النار لإستخراج زيت يُستخدم لعلاج **أمراض الظهر والمفاصل** .
- (***تولمين*) الناقة** يُستخدم حليبها وعلاجها للعديد من الأمراض المتعلقة **بالجهاز الهضمي ،الحساسية ،الربو**. وتعتبر جميع هذه الحيوانات جزءًا من بيئة الصحراء ،مثل الأعشاب والنباتات المستخدمة سابقاً في الطب التارقي .

ج– التداوي الروحاني والنفسي :

[1] – Paul Vermale- op.cit p 262 .

في حال عجزهم عن تفسير الأمراض أو علاجها ،غالبًا ما يلجأ التوارق إلى تفسير هذه الظواهر بأنها ناتجة عن قوى خفية.وكثيرة هي الممارسات التي يعتمدونها أملاً في العلاج،سواءً الروحاني المرتبط بالشعوذة أو النفسي المتصل بحالة المريض النفسية.ومن بين هذه الممارسات،نذكر استخدام التمائم و الحروز التي تُعلَّق على اليدين أو الصدر،وأحيانًا على الأرجل ،إعتقادًا منهم بأنها تجلب الحظ وتطرد الأرواح الشريرة المسؤولة عن المرض،وكثيرًا ما يُمسَح موضع الألم بالحروز طلبًا للشفاء .[1]

من ناحية أخرى إعتمد التوارق على الموسيقى كوسيلة علاجية لحالات الهستيريا،الجنون ، والصرع ،المسّ ،لدغات العقارب والأفاعي.كما تُستخدم الموسيقى للتعبير عن الإنفعالات والمشاعر وتنقية الروح ،خصوصًا خلال فترات الحروب التي تشهد فقدان الأحبة من الأزواج والأبناء،مما يجعلها أداة للعلاج النفسي العاطفي .

وفي السياق ذاته تشير المصادر إلى تميز التوارق في مجال الطب البيطري،حيث طوروا وصفات علاجية خاصة للحيوانات،وخاصة الجمال.كما استخدموا أسلوب العزل أو الحجر الصحي، المعروف لديهم بإسم "فغو(faghw) "،حيث يتم عزل المريض المصاب بوباء بعيدًا عن الخيام لتجنب إنتقال العدوى ،ويُقدَّم له العلاج إلى أن يتعافى.[2]

[1] Henri Duveyrier - op.cit p 419.

[2] خليفي عبد القادر : المرجع السابق.

ثالثا : دور المرأة في الحفاظ على العادات .

أشاد جل الباحثين والدارسين لمجتمع الطوارق عن المكانة المرموقة والهامة التي حضيت بها المرأة الطارقية وسط مجتمعها من بينهم الرحالة الشهير إبن بطوطةحيث تحدث في رحلته عن قبائل الطوارق بإشارته بالمكانة الرفيعة التي تحظى بها المرأة في ذلك المجتمع حيث قال:"ان نساء الطوارق يتميزن بجمال لافت ومكانة اجتماعية متميزة تفوق في بعض الأحيان مكانة الرجال"[1]، هذه المكانة لم تأتي عبثا بل من عدة مهمات كلفت بها المرأة ومن ذلك نجد :

3-1مكانة المرأة الاجتماعية :

❖ **تحمل مسؤولية أسرتها:**

تتحمّل المرأة الطارقية مسؤولية عظيمة في الحفاظ على أمن الأسرة واستقرارها ،خاصة في ظل غياب الرجل الطارقي عن بيته لفترات طويلة تمتد لأشهر ،وربما لسنوات ،بسبب مشاركته في قوافل التجارة. هذا الغياب المستمر ألقى على كاهل المرأة تحديات كبيرة ،فكانت على قدرٍ عالٍ من المسؤولية في إدارة شؤون الأسرة.بالإضافة إلى ذلك ،تُعد المرأة الطارقية المسؤولة عن بناء الخيمة وإستقبال الضيوف،وهما رمزان كبيران في ثقافة الطوارق؛فبناء الخيمة يعني الأمان و الاستقرار،أما إستقبال الضيوف

[1] ابن بطوطة: تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،**تح** الشيخ محمد عبد المنعم العريان ،**مر**مصطفى القيقاني ،دار إحياء العلوم بيروت ط 1، 1987 ص69.

فيرمز إلى الكرم والجود ،وهما من القيم الأساسية التي يعتز بها المجتمع الطارقي. وقد تكون هذه المهام جزءًا من تعويض غياب الأب الطويل،فحملت المرأة عبء التوازن الأسري والإجتماعي بكل فخر .[1]

ولم يقتصر دورها على ذلك،بل إمتد ليشمل سيطرتها على بعض شؤون القبيلة،حيث منحت في بعض الفترات التاريخية الحق في تطليق الزوج ،وهو أمر نادر في المجتمعات القبلية .و إذا كان الرجل الأزرق سيدا في الحروب والمعارك فإن المرأة سيدة على العلاقات الإجتماعية من حرص على توفير الجو الأنسب للأفرادما يعكس الدور المحوري للمرأة في حفاظ على تماسك أسرتها.[2]

وفي إطار الحياة الزوجية تدير ثروتها الخاصة،دون أن تُجبر على المساهمة في مصاريف البيت،ما لم تكن راغبة بذلك؛ ونتيجة لذلك، وبفضل تراكم الموارد،تكون غالبية الثروة في يد النساء...

في الأسرةتهتم المرأة بشكل حصري بالأطفال،وتقود تربيتهم الأطفال يُعتبرون أبناءها أكثر من كونهم أبناء زوجها،لأن إنتماءهم الإجتماعي والقبلي والعائلي يُستمد من دمها،وليس من دم الأب.

خارج نطاق الأسرة عندما تكتسب المرأة سمعة بفضل حُسن حكمها وتأثيرها على الرأي العام، يُسمح لها أحيانًاوإن كان ذلك نادرًابالمشاركة في مجالس القبيلة حرة في تصرفاتها،تذهب حيث تشاء دون الحاجة لتقديم حساب عن سلوكها،شرط ألا

[1]– بواسع حفيظة :صورة المراة الطارقية في الرواية الجزائرية ص 20.

[2]– حينوني رمضان :المرجع السابق ، ص126.

تُهمل واجباتها كزوجة وأم سلطتها كبيرة إلى حد أنها،رغم سماح الشريعة الإسلامية بتعدد الزوجات،فرضت على الرجل الإلتزام بالزواج الأحادي، وهذا الالتزام يُحترم دون أي إستثناء.

❖ حرية اختيار الزوج:

وقد ساهم المجتمع الطارقي نفسه في تمكين المرأة ،ومنحها عدة امتيازات،من بينها الحرية الكاملة في اختيار شريك حياتها دون ضغط أو إكراه من الأهل ،ويتم ذلك عادة عبر جلسات تعرف بإسم "تاغيلت "،وهي لقاءات تجمع الشباب والفتيات الراغبين بالزواج ،يتبادلون فيها الحديث والتعارف بطريقة راقية،تشبه إلى حد كبير جلسات عشاق العرب ومجانينهم،مع الحق الكامل في رفض من لا يناسبها.

❖ انتساب الطفل للأم :

المجتمع الطارقي المعروف بـ" الإيموهاغ"يُعتبر من المجتمعات القليلة في العالم الأم على الأب في مسائل النسب والقرابة والجاه.يعني ببساطة،"البطن قبل الظهر"أي أن الانتساب والقرابة والجاه تكون من جهة الأم لا الأب،بينما في التعريف بالشخص فقط ينسب للأب.فمثلا إذا كانت الأم نبيلة والأب عبدا فان الطفل يكون نبيلا،و إذاكانت الأم أمة والأب نبيلا فان الابن يصبح عبدا،فالطفل الطارقي يأخذ نسبه من أمه بغض البصرعن أصل والده .[1]

[1]- أمال هاشمي :المرجع السابق ،104.

وقد لاحظ إبن بطوطة خلال رحلته مسألة الإنتساب فوصفها باستغراب قائلا:"**وشان هؤلاء القوم عجيب،وأمرهم غريب .فما رجالهم فلا غيرة لديهم ،ولا ينتسب احدهم الى ابيه بل ينتسب لخاله.ولا يرث الرجل الا ابناء اخته دون بنيه ،وذلك شيء ما رايته في الدنيا الا عند كفار بلاد المليبار من الهنود** " .[1]

و يرجع هذا الإنتساب على حد قول صاحب كتاب الطوارق من الهوية إلى القضية إلى أن الولد يرضع من ثدي أمه المجد و السؤدد،وبالتالي لابد أن ينتسب إلى "اللبان" الذي منحه بفضل الله الحياة و القوة .كما أن هذا الأمر جعل الطفل يرث الجاه والثروة عن طريق الأم عندما يموت الزعيم يخلفه إبن أخته و ليس إبنه.[2]

تتمتع المرأة الطارقية بإمتيازات تتجسد في كون الطوارق أحاديو الزواج،ولا يعددون الزوجات على الرغم من أن الشريعة الأسلامية ،تمنح الرجال الحق في التعدد.[3]

كما تمتلك المرأة الطارقية حرية واضحة في إختيار زوجها أو الإنفصال عنه،وهذا الأمر يعتبر جزءًا أساسيًا من هويتها الإجتماعية حيث يمكن للزواج أن يُفسخ بناءً على رغبة المرأة وحدها.هذه الحرية

[1] – إبن بطوطة :تحفة النظار في غرائب الامصار ،دار الكتب العلمية ،الطبعة الثالثة ،بيروت 2002،ص 687.

[2]– أكناته ولد النقرة : المرجع السابق ، ص 73.

[3] - Demage .G,(1900), a Travers le Sahara, aventures merveilleuses de marius mercurin , p 105.

تتجلى بوضوح في المحادثات اليومية،حيث لا يُنظر إلى الأمر على أنه "تمرد على الرجل"،بل هو أمر طبيعي جدًا في المجتمع الطارقي .[1]

❖ الأعمال اليومية للمرأة الطارقية

يقول ديماس:كانت النساء يقمن بنسج الأسرة والوسائد،وأكياس الطحين،والأقمشة الصوفية المصبوغة بالألوان الزرقاء والحمراء،إضافة لألبسة الرجال والنساء و الأطفال.وتتجسد مهمتها كذلك حلب الأغنام والجمال وطحن الحبوب ووضع السرج على الأحصنة والإهتمام بها بتقديم الشراب والشعير،ويجهزن جلود الماعز التي يحفظ فيها الحليب،و الزبدة ،والماء.ويصنعن من الطين أو الصلصال اواني الشرب ،والمواقد والمزهريات .اضافة الى مهمة تكفل برفع الخيمة في حزمة وتحميلها على الجمل ،لما تقرر القبيلة الترحال الى اراضي اخرى.[2]

وصف هنري دويفيريه:مكانة المرأة المرموقة التي تحظى بها لدى مجتمع الطوارق فهي الأم التي تهتم بالخياطة وحياكة الخيام وتركيبها و إنشائها،حيث تقضي معظم أوقاتها تحت الخيمة و ترتيبها للأطفال وطهي الغذاء فإذا ما أنهت عملها ،سرحت شعرها الطويل أو شعر ابنتها مشكلة ظفائر طويلة،تطلى بالزبد وتربط بحزام وتلوي للخلف،والعمل اليومي للمرأة الطارقية هو أقل تعب من المرأة العربية إذ نجد

[1] - Aymard Capitaine (1911), les Touareg, ouvrage illusré de 44 Gravures Tirées Hors texte et d’une carte en noire, librairie Hachette et Cie , Paris p49.

[2] Daumas p 258.

خادمتها تساعدها في تنظيف الخيمة وحلب الشياة والنوق،وجلب الماء من الآبار ورعاية الأطفال [1].

3-2دور المرأة في الحفاظ على اللغة:

لعبت المرأة الطارقية دورا محوريا في الحفاظ على لغة التماهاق ونقلها عبر الأجيال.فبينما يعد تعليم القراءة والكتابة بين الرجال محدود،نجد أن معظم النساء يتقن التفيناغ-الأبجدية الخاصة بالطوارق – ويقمن بتعليمها لأولادهم .وقد كان من المدهش أن يكتشف الباحثون أن تعليم هذه الكتابة يعتبر تقليديا حكرا على النساء.وهن المسؤولات عن نقل المعرفة اللغوية داخل المجتمع،هذا ما قاله هنري ديفيريه حيث قال:"**عن وصولي الى قبائلهم ،اظهرت رغبتي في تعلم التماهاق ،وطلبت من يمكنه ان يعلمني القراءة والكتابة بهذه اللغة .ولدهشتي الكبيرة ،علمت ان تعليم التفيناغ مخصص حصريا للنساء وقد عرضت علي بعضهن اعطائي دروسا** ". **وقال ايضا** :رغم اندثار الكتابات الأمازيغية في معظم شمال إفريقيا بسبب الفتح العربي والتعريب ،إلا أن الطوارق حافظوا على كتابتهم القديمة"تيفيناغ"،بفضل النساء الطوارقيات اللواتي نقلنها جيلًا بعد جيل،مما يُعد معجزة ثقافية فريدة في القارة الإفريقية. [2]

[1] Henri Duverier ,Op ,Cit p340-341.

[2] -Henri Duverier ,Op ,Cit p.388

3-3دور المرأة في الحفاظ على الفنون:

الموسيقى : عندما نتحدث عن الموسيقى عند الطوارق ، فإن أول ما يخطر على البال هو **آلة الإمزاد**[1]،والتي تعتبر **رمزًا فنيًا وثقافيًا عريقًا** لديهم.حيث تشير المصادر أن المرأة الطارقية هي من ابتكرت موسيقى الامزاد ،وتعتبر من اجمل التحف الموسيقية عند الطوارق .وهي تشبه العود العربي في شكلها وقد صنعت من الكوسة" تزنوت"و أعراف الجياد ويثبت على الكوسة جلد معز وقضيب من الخشب يربط عليه بإحكام حتى يتمكن من إصدار الصوت الساحر.تعزف عليها المرأة الطارقية أطيب وأعذب الألحان في المناسبات المفرحة والحزينة وحفلات السمرهي صورة اخرى من صورة المرأة تربطهما تاريخ عريق وموروث شعبي لا يندثر .[2]

الشعر :أثبتت **المرأة الطوارقية** بحسب العديد من المصادر أنها **شاعرة بالفطرة**، وظهر ذلك جليًا من خلال القصائد التي تلقيها في مناسبات عديدة ومختلفة،حتى أصبح **الشعر جزءًا لا يتجزأ من حياتها اليومية** ووظيفتها الثقافية .

فتقوله لينام طفلها أو لتؤنس به زوجها أو لتذكر مفاخر قبيلتهاو من أشهر الشاعرات الطارقيات نجد:(داسين ولت ايهما)المولودة عام 1873 بالأهقار من نسب رفيع،وقد عرفت بسداد رأيها

[1] ينظر الملحق رقم4.

[2] – بواسع حفيظة : المرجع السابق،ص 26.

وحكمتها حتى أنها كان يرجع إليها لحل بعض الأمور السياسية وإشتهرت إلى جانب الشعر بالموسيقى والعزف على الإمزاد .[1]

إذا كان هناك جانب تُخالف فيه المجتمع الطارقي عن المجتمع العربي،فهو في التباين الواضح في المكانة الرفيعة التي تحتلها المرأة فيه مقارنةً بحالة التبعية والدونية التي تعاني منها المرأة العربية. عند الطوارق، المرأة مساوية للرجل، بل إنهامن بعض النواحي في وضعٍ أفضل منه.

يتّضح من خلال هذا الفصل أنّ **العادات والتقاليد الطارقية** ليست مجرّد مظاهر سطحية للحياة اليومية،بل تشكّل نظامًا رمزيًا متكاملاً يعكس قيم المجتمع الطارقي ومبادئه في التنظيم الإجتماعي، والتماسك القبلي،والارتباط العميق بالأرض والهوية الثقافية.فاللباس،والاحتفالات،والممارسات الروحية،وحتى آداب السلوك،تعبّر عن رؤية الطوارق للعالم،وتكشف عن قدرة هذا المجتمع على الحفاظ على خصوصيته في وجه التحوّلات التاريخية العميقة.كما تبيّن من تحليلنا أن **المرأة الطارقية تحتلّ مكانة محورية في البناء الإجتماعي والثقافي**.

[1]- حنيوني رمضان : المرجع السابق ،ص127.

الـــــــخاتـــــمة

خاتمة

يمكن اختزال ما توصّل إليه هذا البحث في عدد من الاستنتاجات **نذكر ما يلي:**

- ✓ **الطوارق شعب صحراوي أصيل** إستوطن الصحراءالكبرى منذ آلاف السنين،وإستطاع التكيّف مع بيئة قاسية من خلال نمط حياة بدوي قائم على الترحال ،وتوزيع جغرافي واسع يشمل الجزائر، ليبيا، مالي، النيجر،تشاد .
- ✓ **تسمية "الطوارق " لا تعود لهم أنفسهم** ،بل أُطلقت عليهم من قبل العرب والمستشرقين ،بينما يسمّون أنفسهم بأسماء أمازيغية أصيلة مثل: *كل تماشق* ، *تماهق* ، *وأماجغن* .
- ✓ **تعدّدت الروايات حول أصلهم العرقي** ،فمنهم من نسبهم إلى قبائل صنهاجة و لمتونة البربرية ،وآخرون ربطوهم بالقرامنت أو قدماء المصريين ،مما يعكس صعوبة الحسم في نسبهم ،ويُظهر أنهم شعب ذو روافد حضارية متعددة ومتداخلة .
- ✓ **يتميّز الطوارق بمرونة اجتماعية وهوية ثقافية فريدة** ،حيث انفتحوا عبر القرون على مختلف الأعراق والثقافات ، دون أن يفقدوا لغتهم (تماشق) وأبجديتهم (تيفيناغ) ، التي ظلت ركيزة أساسية في هويتهم .
- ✓ **التركيبة القبلية للطوارق مركبة ومتنوعة** ، تضم قبائل أمازيغية خالصة وأخرى ذات أصول عربية ومغاربية ،ما يدل على تفاعلهم مع محيطهم التاريخي،واندماجهم مع مختلف القوى والقبائل في إطار مجتمعي موحّد .
- ✓ **الطوارق ليسوا مجرد قبائل بدوية منعزلة** ،بل هم جماعة ساهمت في رسم ملامح الفضاء الصحراوي سياسياً واقتصادياً و ثقافيًا ،وخاصة من خلال دورهم في تأمين طرق التجارة الصحراوية وربط شمال إفريقيا بجنوبها .
- ✓ تُظهر دراسة النظام الإجتماعي عند الطوارق أن **غياب الدولة المركزية** لم يشكّل عائقًا أمام بناء تنظيم قبلي صارم و فعّال،يعتمد على **الأعراف والتشاورالجماعي** في إدارة الشؤون العامة.وقد اتّسم هذا النظام بتوزيع هرمي دقيق للسلطات،بين **السلطان** (**أمينوكال**)باعتباره القائد الأعلى،**وشيخ القبيلة** المسؤول المباشر عن شؤون الجماعة ، و**الإمام** الذي يمثل البعد الديني والأخلاقي .

- ✓ كانت **الطبقية الاجتماعية** من أبرز سمات البنية المجتمعية عند الطوارق ،حيث ظهر تقسيم دقيق وواضح للوظائف والأدوار بين فئات المجتمع المختلفة ، بدءًا من **النبلاء** (**الإيموهاغ**) ، مرورًا بـ**الفقهاء** (**الإينسلمن**) ،**الحرفيين** ، وصولًا إلى **العبيد**. وقد كانت الامتيازات تُمنح بناءً على **الانتماء القبلي** ،**والثروة** ،**والمكانة الرمزية** ،في ظل احترام صارم للتراتبية الاجتماعية المتوارثة.. وقد ساهم هذا التنظيم في الحفاظ على استقرار داخلي نسبي،رغم التحديات التي فرضتها البيئة الصحراوية والصراعات القبلية.
- ✓ لم يكن **الفن الطارقي** من رقص وموسيقى وشعر شفهي،مجرّد ترف أو وسيلة ترفيه،بل شكّل أداة فعّالة في تعزيز **اللحمة المجتمعية** وترسيخ **الهوية الثقافية الجماعية**،من خلال توثيق القيم والعادات في مجتمع يفتقر للتدوين المكتوب.وبالمثل لعبت**الأنشطة الاقتصادية** مثل تجارة القوافل ،وتربية الماشية ، والحِرَف التقليدية دورًا محوريًا في دعم النظام الاجتماعي ،حيث ساهمت في **ترسيخ الطبقية** ،وتعزيز التكافل بين القبائل عبر تبادل المنافع والخبرات ، مما جعل الاقتصاد والثقافة ركيزتين متداخلتين في بنية المجتمع الطارقي .
- ✓ يُعد اللباس التارقي رمزًا عميقًا لهوية ثقافية فريدة ،فهو ليس مجرد وسيلة للستر ،بل مرآة صادقة تعكس بيئة التوارق الصحراوية ،وقيمهم الاجتماعية والروحية.تميّز اللباس بين الرجل والمرأة بأسلوبه وشكله ومكوناته ،فاللثام مثلًا هو أكثر من قطعة قماش ،إنه عنوان للوقار والرجولة والإنتماء ،بينما تظهر أناقة المرأة في عباءاتها المزخرفة وحُليها الغنية بالرموز .
- ✓ الطوارق مسلمون لكن ممارساتهم الدينية متأثرة بالبيئة البدوية.يحتفلون بالأعياد مثل الفطر ،الأضحى،عاشوراء ،والمولد النبوي،بخلطٍ بين الطقوس الإسلامية والاحتفالات الشعبية مثل سباقات الخيل،الرقص،والموسيقى،وذكر المدائح النبوية.كما يحيون طقوسًا روحانية لطرد الأرواح في حالات المرض،تجمع بين التصوف والمعتقدات الشعبية.

- ✓ يتميز الطوارق باحتفالهم بالمناسبات الدينية الإسلامية بطابع ثقافي محلي ، حيث يدمجون الطقوس الدينية مع تراثهم من سباقات خيل ورقصات ومدائح نبوية. كما لديهم عادات

خاصة ككسر عظام الأضاحي في عاشوراء واستخدام الموسيقى للعلاج الروحي،مما يعكس مزيجًا من التصوف والمعتقدات الشعبية.في الخريف،تنظم مهرجانات شعبية تتضمن مسابقات رياضية وفنية تعزز الهوية والانتماء.وتبرزالمشاركة النسائية والشبابية في هذه الفعاليات، ما يدل على تماسك المجتمع وحيويته الثقافية.

- ✓ مجتمع الطوارق يجمع بين الأصالة والبساطة حيث تتداخل العادات في نسيج الحياة اليومية ،لتصنع هوية ثقافية مميزة لمجتمع قوي ومتمسك بجذوره .تُمنح المرأة مكانة خاصة تختار شريكها بحرية،ويتم الزواج وفق طقوس تقليدية. تُرتبط أسماء المواليد بالبيئة المحيطة بهم قبل أن تتأثربالثقافةالإسلامية،وتعكس طقوس الموت بساطتهم وارتباطهم بالطبيعة. يعيشون بأقل الموارد يعتمدون في طعامهم على ما يتوفر من موارد لتحضير وجبات بسيطة ، ويتداوون بالأعشاب والحيوانات ويحولونها الى علاجات تقليدية فعالة . كما تلعب الموسيقى والتمائم دورًا في العلاج الروحي عند عجز الوسائل التقليدية عن تحقيق الشفاء ، ما يعكس توازنًا فريدًا بين الجسد والروح في ثقافتهم .
- ✓ تلعب المرأة الطارقية دورًا محوريًا في الحفاظ على عادات وتقاليد مجتمعها ،حيث تُعد عماد الأسرة و المسؤولة عن استقرارها في ظل غياب الرجل الطويل بسبب الترحال.تتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة ،تتمثل في حرية اختيار الزوج ،وحقها في الطلاق ،وإنتساب الأبناء إليها ،مما يمنحها سلطة ورمزية كبيرة.كما تحافظ المرأة على اللغة من خلال تعليم أبجدية "تيفيناغ " للأطفال ،وهي الحاملة لتراثهم اللغوي.وإلى جانب ذلك تُبدع في الموسيقى والشعر ،حيث تُعد آلة"الإمزاد "رمزًا فنّيًا نسائيًا ،وتبرز الشاعرات في نقل التاريخ الشفهي والتعبير عن مشاعر القبيلة.
- ✓ شكّلت العادات والتقاليد الطارقية،بما تحمله من رمزية اجتماعية ومرونة تنظيمية ،محور اهتمام عميق لدى المستعمرين والباحثين الفرنسيين خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،حيث أثارت إعجابهم قدرة هذا المجتمع على ضبط نفسه دون الحاجة لقوانين مكتوبة أو مؤسسات رسمية.وقد حرص الفرنسيون على دراسة البنية الاجتماعية للطوارق بدقة ،فرأوا في احترامهم للأعراف،وحكم شيوخهم،وتقديسهم للمجالس التوافقية،نموذجًا

لما وصفوه بـ"العدالة التقليدية" التي تستحق التوثيق.بل إن بعضهم سعى لتوظيف هذا الفهم في تسهيل التغلغل الاستعماري داخل عمق الصحراء.وتُظهر الوثائق الفرنسية تركيزًا خاصًا على تفاصيل الحياة اليومية للطوارق ،من اللباس والعلاقات الطبقية ، إلى أنظمة الضيافة وآليات حل النزاعات،معتبرين أن هذه المظاهر تعكس هوية ثقافية متماسكة وعصية على الإخضاع.وعلى الرغم من الضغوط الاستعمارية ، بقي النظام الاجتماعي الطارقي صامدًا ومرنًا ، قادرًا على التكيّف والتجدد ، ليُصبح مثالًا حيًا على قوة المجتمعات التقليدية في مواجهة التغيرات الكبرى .

الـــــــــملاحق

الملحق رقم 1

خريطة توضح مناطق تواجد الطوارق.

الملحق رقم 2

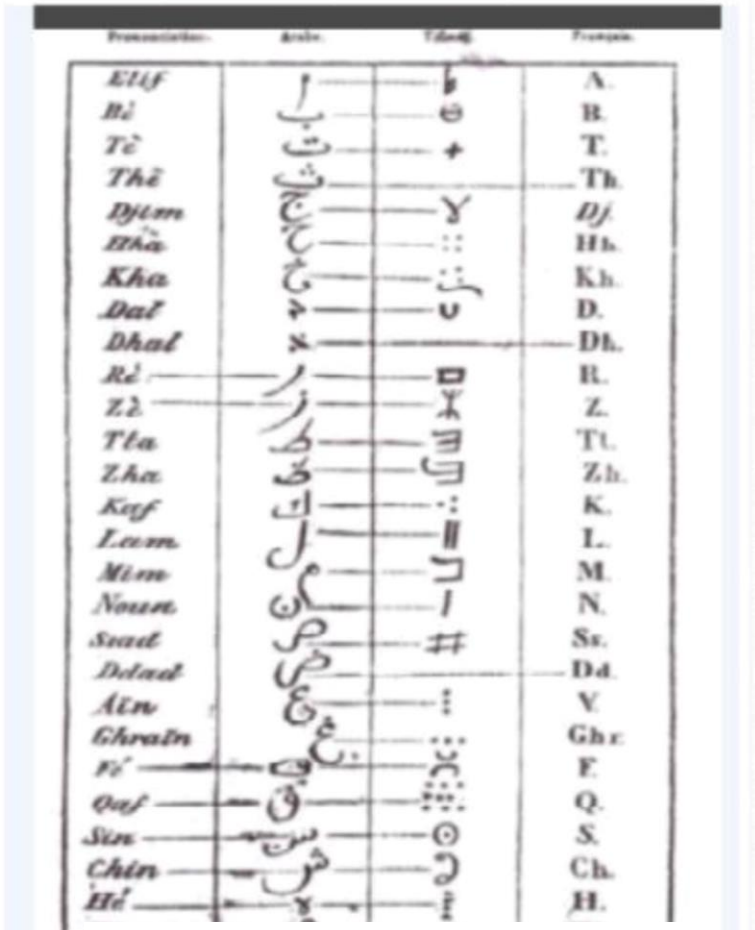

Elif	ا	ⵄ	A.
Bé	ب	ⴱ	B.
Té	ت	ⵜ	T.
Thé	ث		Th.
Djim	ج	ⵊ	Dj.
Hha	ح	ⵃ	Hh.
Kha	خ	ⵅ	Kh.
Dal	د	ⴷ	D.
Dhal	ذ		Dh.
Ré	ر	ⵔ	R.
Zé	ز	ⵣ	Z.
Tta	ط	ⵟ	Tt.
Zha	ظ	ⵥ	Zh.
Kaf	ك	ⴽ	K.
Lam	ل	ⵍ	L.
Mim	م	ⵎ	M.
Noun	ن	ⵏ	N.
Ssad	ص	ⵚ	Ss.
Ddad	ض		Dd.
Ain	ع	ⵄ	V.
Ghrain	غ	ⵖ	Gh r.
Fé	ف	ⴼ	F.
Qaf	ق	ⵇ	Q.
Sin	س	ⵙ	S.
Chin	ش	ⵛ	Ch.
Hé	ه	ⵀ	H.

الحروف الأبجدية لخط التيفيناغ

المصدر :دواس احسن صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال الكتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية، رسالة –لنيل درجة ماجيستر في الادب المقارن ، شعبة ادب الرحلة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الاداب واللغات ، 2007–2008.، ص 79.

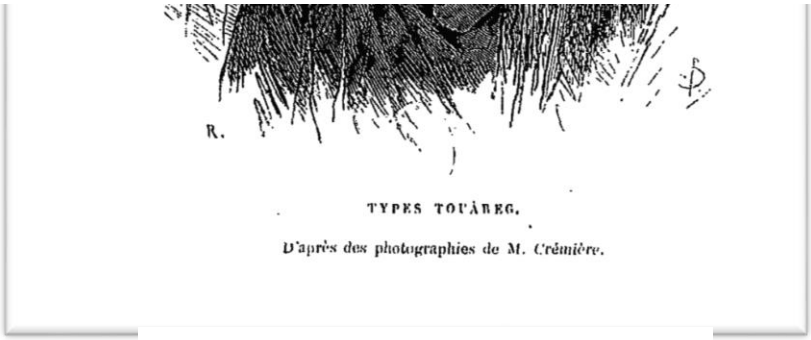

الملحق رقم 3

صورة تظهر لثام الرجل التارقي

Duvegrier Henré : Exploration du sahara les touarges du nord paris ,1864,p383.

الملحق رقم 4

الأمزاد آلة الطرب عند الطوارق

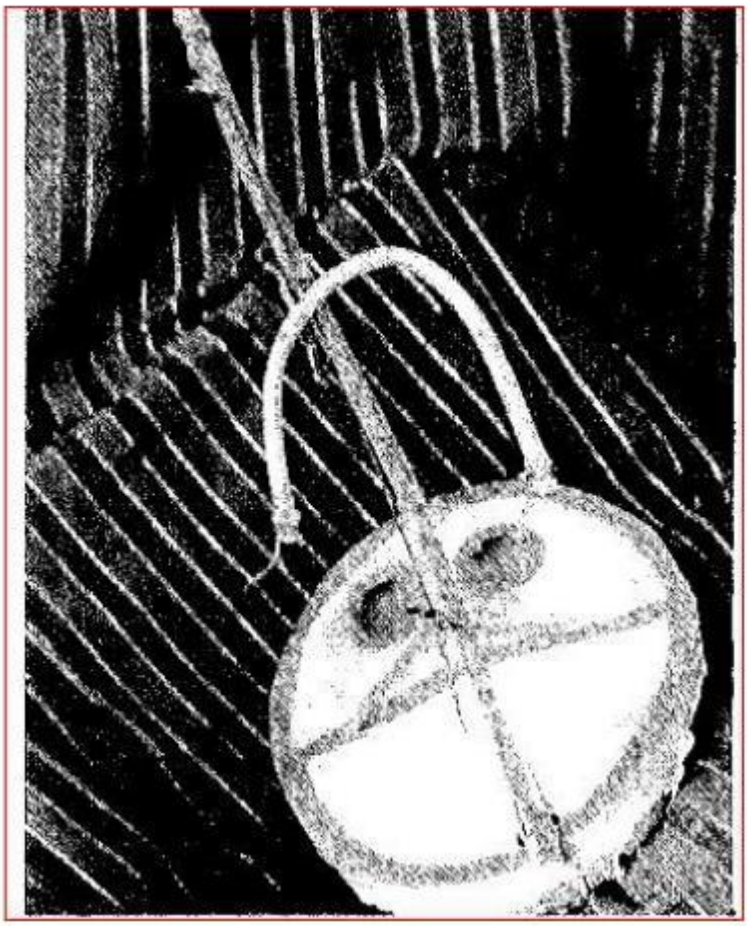

محمد سعيد القشاط : طوارق الصحراء الكبرى ص288.

الملحق رقم 5

عروس تارقية بكامل زينتها

محمد سعيد القشاط: طوارق الصحراء الكبرى ص286.

المصادر

1- القرآن الكريم

2-ابن يطوطة: تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،تح الشيخ محمد عبد المنعم العريان ،مرمصطفى القيقاني ،دار احياء العلوم بيروت ط 1، 1987.

3- عبد الرحمان ابن خلدون:تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، ج 6 بيروت 1971.

المراجع :

1- اسماعيل العربي : كتاب الصحراء الكبرى وشواطئها الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب.

2- اكناته ولد النقره : الطوارق من الهوية الى القضية ، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، 2014.

3-امال الهاشمي : الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية ،ابن النديم للنشر و التوزيع وهران ،دار الروافد الثقافية بيروت لبنان ، ط1 ، 2024 .

4-التنبكتي :الطوارق عائدون للنثور،منشورات منظمة تامينوت،د.س.

5- دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب إفريقية(1038-1121م)،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1988،ط1.

6-الشاوي اللاله البكاي اماهين : الطوارق عبر العصور ، ط 1 دار الكتب الوطنية : بنغازي ليبيا ، 2007.

7-محمد الشيخ الانصاري:الطوارق الاصل والموطن .

8- محمد سعيد القشاط : الطوارق عرب الصحراء . ،ط 2 مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء

9-مرموري حسن : التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين،ط 1، منشو ارت المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر 2010.

باللغة الأجنبية:

1- Aymard Capitaine (1911), les Touareg, ouvrage illusré de 44 Gravures Tirées Hors texte et d'une carte en noire, librairie Hachette et Cie.

2- Daumas Le Général(1853), Moeurs et coutumes de l'Algerie Tell, Kabylie, Sahara, librairie Hachette et cie، Paris.

3- Duvegrier . Henré : exploration du sahara les touarges du nord paris ,1864.

4- H Bissuel Les Touareg de I Ouest 1888 .

5- H .Bissuel Ie Sahara Fran cais .1891

6 - Paul Vermale- Au Sahara Pendant A Guerre Européenne- Editions Jacques Gandini- Paris 1955.

7- Stephanie E. Santos, "The Tuareg: Place and People In Self Determination", Workshop in Political Theory and Policy Analysis , Bloomington: Indiana University 2013 .

المقالات :

1-ابراهيم بتقة : لمحات من تاريخ قبائل الطوارق ،كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة خميس مليانة.

2 – احمد عبد الدايم محمد حسين :تاريخ القضية الازوادية وتطورها العدد 16 ، افريل 2013 .

3- إياد يونس عريبي و عفراء عطا عبد الكريم الريس ، العادات والتقاليد لدى مجتمع أبناء الطوارق في الصحراء الكبرى ، مجلة بحوث الشرق الأوسط ، العدد51 ، 2019 .

بواسع حفيظة :صورة المرأة الطارقية في الرواية الجزائرية . 4-

5-خليفي عبد القادر ، مجتمع طوارق الجزائر : الخصوصيات الأنثروبولوجية و السوسيو ثقافية مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة محمد بوضياف – مسيلة – الجزائر 2017.

6-دالي مبروك الهادي: قبائل الطوارق (الدراسة الوثائقية ، طربلس ، د.ن) ،2007.

7 – محمد أشحلي :الطوارق أمازيغ الصحراء الكبرى،القومية المسألة القومية ،حقوق الأقليات لحق تقرير ع 1791 ، 2007

المجلات :

1-برباش رتيبة : مشكلة الطوارق في منطقة الساحل الافريقي وتداعياتها على الامن القومي الجزائري ، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية ،العدد 1 ديسمبر 2017.

2-عبد الرحمان الجيلالي :هؤلاء التوارق الملثمين ،مجلة الأصالة ، ع1971،72.

3-عبد القادر بوباية : دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، مجلة عصور ، العدد4 / 5 ، 2003-2004

4-عيسى ابرزولغ وبناني احمد :التماس بين الشعر التارقي و الشعر العربي ،مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست ، مجلة الموروث مجلد 05، عدد2023،01

5-مصطفى بن واز : المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية دوماس ايجان أنموذجا ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية ، المجلد3 ، العدد 1 ، 2020

6-هرباش زاجية : الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين " دوماس أنموذجا "، مجلة عصور الجديدة ، العدد 6 ، 2012

دراسات السابقة:

1-بتقة ابراهيم:مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر(1890 -1920) ، شريف خالد،أطروحة 6 ماجستير،الجزائر،كلية علوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، (2009-2010).

2-تاج اكرام و بلفراق محجوبة : قبائل الطوارق بالجزائر ، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية ،قسم التاريخ تيارت .

3- تكرا حنان و حمو علي مباركة :قبائل الطوارق من خلال المستكشفين هنري دوفيري وشارل دوفوكو ، مذكرة ماستر ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،2020-2021 .

4-دواس أحسن : صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن من خلال الكتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيوثقافية ، رسالة لنيل درجة ماجيستر في الادب المقارن ، شعبة ادب الرحلة ، جامعة منتوري قسنطينة ، كلية الاداب و اللغات 2007-2008.

5- واجي بوجمعة :دراسة ديمغرافية وسوسيو اقتصادية للمجتمع التارقي –دراسة حالة حي المستقبل ادرار – ، اطروحة دكتوراه كلية العلوم الاجتماعية جامعة وهران 2020-2021.

شكر وتقدير

الإهداء

قائمة المختصرات

المقدمة

الفصل الاول: لمحة تاريخية عن الطوارق .....

أولا: التواجد الجغرافي للطوارق 1

ثانيا: أصل التسمية 3

ثالثا: أصولهم..... 7

3 -1أصلهم عند المؤرخين العرب 8

3- 2 أصلهم عند المؤرخين الغرب 13

رابعا : تفرعات القبائل الطارقية 15

الفصل الثاني: البنية الاجتماعية للطوارق .....

أولا: النظام الاجتماعي للطوارق 20

ثانيا: الطبقات الاجتماعية الطارقية..... 23

ثالثا :التأثير الثقافي على البنية الاجتماعية 29

رابعا: التأثير الاقتصادي في البنية الاجتماعية 34

الفصل الثالث :العادات والتقاليد التارقية .....

اولا :اللباس التقليدي التارقي 41

1-1لباس الرجل التارقي..... 42

1-2لباس الاطفال 46

1-3لباس المراة التارقية..... 47

1-4زينة المراة التارقية 49

ثانيا : المناسبات والعادات الطارقية 50

2-1المناسبات 50

2-2 عادات الطوارق 53

ثالثا : دور المرأة في الحفاظ على العادات..... 68

3-1مكانة المرأة الاجتماعية..... 68

3-2دور المرأة في الحفاظ على اللغة 73

3-3دور المرأة في الحفاظ على الفنون 74

الخاتمة

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

الملخص

الملخص

يُعدّ الطوارق من الشعوب العريقة التي إستوطنت الصحراء الكبرى وشمال إفريقيا منذ القدم ،ويتركز وجودهم اليوم في جنوب الجزائر،جنوب غرب ليبيا ،شمال مالي،شمال النيجر،وشمال بوركينا فاسو.وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية " الطوارق "؛فالبعض ينسب الإسم إلى القائد طارق بن زياد،بينما يرى آخرون أنه يرتبط بالطرق الصحراوية التي يسلكونها،وهناك من يعتقد أن الاسم مشتق من"التوارك"في إشارة إلى تَركهم الديانة الوثنية واعتناقهم الإسلام.يطلق الطوارق على أنفسهم تسميات مختلفة حسب المنطقة ، مثل "كل تماجق" في النيجر،"كل تماهق" في ليبيا و الجزائر ،و"كل تماشق" في مالي. ويتحدثون لغة تُعرف بـ" تاماشق " ويكتبونها بأبجدية "تيفيناغ "الخاصة ،وهي جزء أساسي من هويتهم الثقافية.وقدعُرفوا بلقب"الملثّمين"بسبب إرتداء الرجال للثام الأزرق " التاجلموست"الذي يغطي الوجه،كرمز للشرف والرجولة .

تميّز المجتمع الطارقي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بطابعه البدوي الصارم وهيكله الاجتماعي الهرمي ، حيث تصدّر النبلاء الطبقة العليا وتولّوا الزعامة ،يليهم المتعلمون و الحرفيون، في حين كان العبيد"الإيكلان"يشكّلون الطبقة الأدنى ويؤدّون الأعمال اليومية. وقد لعبت المرأة الطارقية دورًا محوريًا واستثنائيًا في الأسرة والمجتمع ؛ فهي مالكة الخيمة ، وذات حرية في الزواج و القرار ، وتُعتبر مركزًا لنقل الثقافة ،خصوصًا من خلال تعليم الأطفال حروف"تيفيناغ ".كما اشتهر الطوارق بكرمهم الشديد وإحترامهم للأعراف،وكانت الضيافة إحدى القيم الأساسية في حياتهم.العلاقات الإجتماعية كانت تُبنى على الإحترام،المصاهرة،والتحالفات القبلية التي ساهمت في حفظ السلم الاجتماعي وتقوية النفوذ. ورغم قسوة الصحراء،إستطاع الطوارق الحفاظ على مجتمع متماسك بروابط قوية وتقاليد راسخة مع نشاط بارز في التجارة،خاصة في تبادل الملح و الذهب ،إضافة إلى ثقافة غنية بالشعر والغناء والحكايات البطولية التي توارثوها عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية : الطوارق في الصحراء المغاربية – الحياة الاجتماعية – العادات وتقاليد.

Abstract

Abstract

The Tuareg are an ancient people who have inhabited the Sahara Desert and North Africa since antiquity. Today, they are primarily found in southern Algeria, southwestern Libya, northern Mali, northern Niger, and northern Burkina Faso. Historians differ on the origin of the name " Tuareg "; some attribute it to the leader Tariq ibn Ziyad , others link it to the desert routes they travel, while some believe it is derived from the word "Tawarik ," referring to their abandonment of paganism and conversion to Islam. The Tuareg refer to themselves by different names depending on the region, such as *Kel Tamajeq* in Niger, *Kel Tamahak* in Libya and Algeria, and *Kel Tamasheq* in Mali. They speak a language known as *Tamasheq* , which is written in the *Tifinagh* alphabet—an essential part of their cultural identity. They are also known as the "Veiled People" because Tuareg men wear the blue face veil called *tagelmust* , a symbol of honor and manhood.

The Tuareg society in the 18th and 19th centuries was marked by a strict nomadic character and a hierarchical social structure. Nobles held the highest status and leadership roles, followed by scholars and artisans, while the lowest class consisted of slaves known as *iklan* , who performed daily labor. Tuareg women played a central and exceptional role in both family and society; they owned the tent, had freedom in marriage and decision-making, and were key to cultural transmission, particularly through teaching children the Tifinagh script. The Tuareg were renowned for their generosity and deep respect for traditions, with hospitality being a core value in their lives. Social relationships were built on respect, intermarriage, and tribal alliances, which helped maintain social peace and strengthen influence. Despite the harsh desert conditions, the Tuareg preserved a cohesive society with strong bonds and deeply rooted customs. They were also actively engaged in trade, especially in the exchange of salt and gold, and cultivated a rich culture of poetry, music, and heroic tales passed down through generations.

Keywords: Tuareg in the Maghrebian Sahara – Social Life – Customs and Traditions